
الجمهورية العربية المتحدة
حماية الشباب
القومية العربية

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة التربية والتعليم

مراجعة

شيخ المترجمين

عبد العزيز توفيق جاويد



«لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ
قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ»

بسم الله الرحمن الرحيم

يا بُنيّ ...

أقم الصلاة

وأمر بالمعروف

وانه عن المنكر

واصبر على ما أصابك

إنّ ذلك من عزم الأمور

ولا تصعّر خدّك للناس

ولا تمش فى الأرض مرحًا

إن الله لا يحبّ كل مختال فخور

واقصِد فى مشيك

واغضُض من صوتك

بسم الله الرحمن الرحيم

لعل عصرنا الذى نعيش فيه هو أحفل العصور بالحوادث فى تاريخ البشرية .

وعند ما يأتى وقت التاريخ لهذا الزمن ـ بعد حين ـ فربما أطلق عليه عصر الحروب العالمية ، أو الذرة ، أو الاقمار الصناعية ، أو الثورات التحررية .. وربما أطلق عليه أيضا « عصر بعث القومية العربية » .

وهو وصف فى نظرنا راجح معقول ، تؤيده بوادر الظروف وضخامة الاحداث ، فبعث القومية العربية أمر له دلالته وخطورته ، وله آثاره ومكانته . حيث عادت أرض الرسالات من جديد محورا تدور فى فلكه أحداث التاريخ العظمى ، وهى خليقة بأن تكون مصدرا للامن والخير والقوة والسلام .. تشع نور الحق والعدل .. وتوجه الحضارات ، وتعلم الانسانية ، وترشدها وتهديها . فقد كانت كذلك يوما ، منذ قريب ، ولا بد أن تستأنف نشاطها فى هذا السبيل ..انها مسئولة عن خلق نهضة ، وبناء اصلاح ، وعن القضاء على شرور وآثام ، وعن انقاذ ملايين البشر من ابادة عاتية كادت تكون محققة.

وأصبحت القومية العربية قوة بانية مؤمنة ، تحمى أرضنا الطيبة، وتوحد الصفوف ، وتجمع القلوب علي الوئام والمحبة والسلام . تقف فى وجه العدو المشترك للانسانية ..

العدو الذى فتت الشعب الواحد فى كل وطن الى شعوب ، والبلد الواحد ـ لكل شعب ـ الى أوطان ، ليبسط نفوذه فى غير وطنه ، ويخضع الشعوب لسلطانه ..

العدو الذى حاربنا بالاستعمار ، والعدوان المسلح ، والحصار الاقتصادى .. كما حاربنا بحشو الرءوس بزيف العلم . وافساد القلوب بدعارة الفن ، وتلويث الالسنة ببذىء القول ..

العدو الذى جهد أن يجعل منا أعداء لانفسنا : نعرض عن الفضائل

والمثل ، وتتنكر للمبادىء والامجاد والتقاليد ، وأراد أن يصطنع في كل بلد عربي عميلا له يأتمر بأمره ويرعى مصالحه .

* * *

لكن الزحف المقدس بدأ سيره ، وانطلق نور المعجزة ، وتحرك ركب القومية العربية .. وكانت انتفاضة عميقة عارمة ، بدلت معالم ونظما ومقاييس ، وفرضت نفسها على التاريخ ، وحددت للبشرية مستقبلا تتجه اليه .

من أجل ذلك قلنا فيما سبق ، غير مسرفين فى الدعوى : ان من حق هذه الحقبة من التاريخ أن توصف بأنها عصر بعث القومية العربية .

* * *

وبعض هذا يوجب علينا ــ نحن العرب ــ أن نقدر تلك الامانة ؟ وأن نحوطها بالرعاية ، وأن لانمل الحديث عنها أو العمل لها ، حتى ترسخ قواعدها ، وتؤتى ثمارها ، ويتحقق وعد الله .

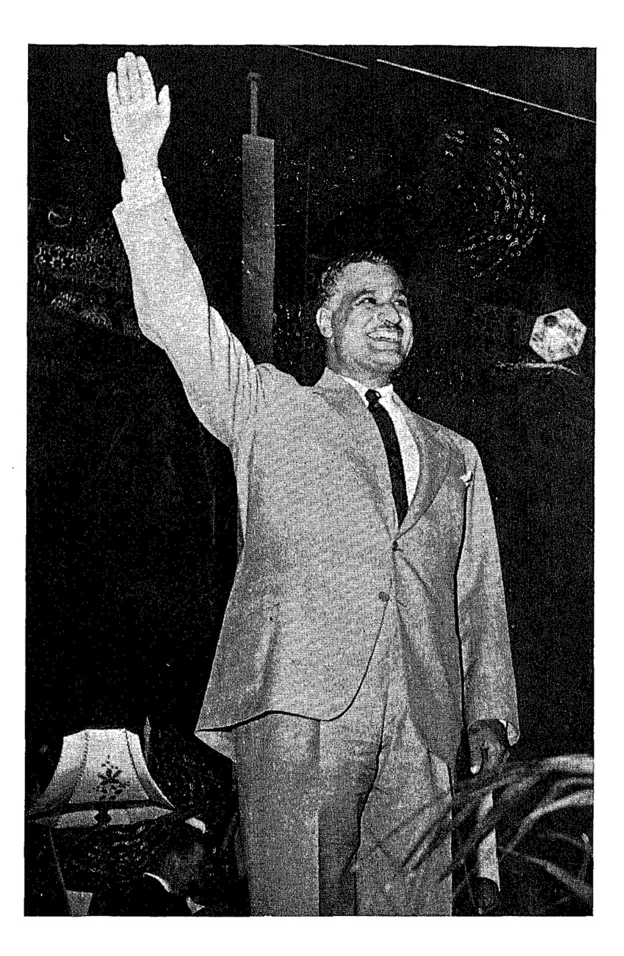
واذن فلابد لنا من تخطيط وتعبئة وتسجيل .. ولابد من أضواء تبصر ، وأصوات حق توقظ وتنذر وتحذر .

وبسبيل ذلك كانت ندوة الشباب عند منبع نهر بردى بالمعسكر الثالث للكشافة العرب .. وكان حديث المتحدثين فى هذه الندوة ، وحديث المتحدثين بعدها أو قبلها ممن بدا لنا أن نستأنس بكلماتهم فى علاج هذا الأمر ، وكلهم من أولى التجربة والكفاح ، وذوى الرأي الحر المستنير .

وانا لنرجو حين نقدم لابناء العروبة هذا الزاد أن نكون قد وضعنا لبنة فى بناء القومية العربية .

والله المستعان وبه التوفيق .

فوزى بركات العدل



جمال عبد الناصر يقول :

القومية العربية

قامت ثورتنا وقد تحصنت بالمثل العليا والاهداف الكبار .. كان هدفها التحرر من الاستغلال الداخلى ، ومن السيطرة الخارجية ؛ وأعلنا ان امننا وسلامنا وانتصارنا فى الداخل والخارج انما هو فى انتصار القومية العربية .

وسرنا فى طريقنا من أجل تحقيق هذه الاهداف .. وكانت معارك .. وستكون معارك ، ليست بالمعارك السهلة ولكنها ستكون معارك كبارا .

وسرنا ، وحققنا الاستقلال ، وعملنا على أن نحميه ، ونذود عنه حتى آخر رمق فينا .. ثم سرنا لنحقق الوحدة ، ونعلى راية القومية العربية .. سرنا بعزم وتصميم وايمان .. وكم قابلنا فى الطريق من صعاب ، وأزمات ، ومؤامرات نسجها الاستعمار ، ليهد عزمنا ؛ ويزعزع ارادتنا ، ويثنينا عن تصميمنا ، وليعوق تقدمنا نحو العمل ؛ واتجاهنا نحو القوة والمنعة .

سلاحنا فى المعارك

وكنا نتسلح فى كل معركة خضناها بقوة الايمان .. وصلابة العزيمة .. ومضاء الحق

واليوم نحارب بنفس السلاح ، وسينتصر الحق ، كما انتصر فى القاهرة ، ودمشق ،وبغداد ، سينتصر بمشيئة الله فى كل بلد عربى»

---

* من خطاب الرئيس فى المؤتمر الشعبى مساء الخميس ١٣/١١/ ١٩٥٨

معركة العروبة

ان هذه المعركة التى نجابهها ، ونسير فيها ، ليست بالمعركة الهينة السهلة ، ولكنها معركة كبيرة عظيمة ، لها نتائج ستؤثر على الوطن العربى فى كل مكان .

موعد مع القــدر

اننا أيها الاخوة جيل على موعد مع القدر .. ندخل المعارك تلو المعارك ، ونواجه المصاعب والمتاعب ، لندافع عما حققناه حققنـــا الاستقلال ، ولا بد أن ندافع عنه .. وحققنا الحرية ، ولا بد أن ندافع عنها .. ولا بد أن نبعث القومية العربية وأن ندافع عنها .. ولا بد ان نعلى راية الوحدة وندافع عنها .

واليوم ، وقد اتحدت سورية مع مصر ، وكونت الجمهورية العربية المتحدة . أول وحدة عربية فى التاريخ الحديث ـ علينا أن ندافع عن هذه الوحدة ، وعن مثلها العليا وعن القومية العربية التى حققتها .

حجر القومية الاساسى

قام اخوتنا فى سورية .. وفى العراق .. وفى الاردن والسودان .. وفى كل بلد عربى .. وضعوا جميعا الحجر الاســاسى الرئيسى فى بناء القومية العربية الشــامخ .. وضعوا بأيديهم وبســواعدهم ، وبعرقهم وبدمائهم هذا الاساس المتين المكين ، وأثبتوا للعالم اجمع ان القومية العربية ليست كلمة تقــال . . وليست من الامانى . . وليست من الاحلام ولكنها حقيقة واقعة ، تجمع بينهم فى الآمال والآلام ، وفى المعارك والانتصارات .

وقد ثارت الامة العربية جميعها تساند شعب مصر ابان قتــاله العدوان الثلاثى الغادر .. وكان انتصار مصر انتصارا للامة العربية .. وكان يوم النصر هــذا هو اليوم الذى رفعت فيه راية القوميــة العربية . ولم ترتفع تلك الراية بفعل فرد او افراد .. انما رفعها الشعب العربى حينما قاتل .. وحينما صمم على ان يتكاتف مع اخوانه المصريين الذين صمموا على ان يدافعوا عن بلدهم وعن حريتهم واستقلالهم .

حقيقة القومية

هذه هي القومية العربية الحقيقية التى تنبعث من ضمير كل فرد عربى ممثلة معنى التآخى والتضامن .

هذه هى القومية العربية التى كنا نحلم بها وكنا نراها بعيدة المنال

هذه هى القومية العربية ــ التى آثر الاستغلال أن يهزمها وان يبث بين ارجائها القومية الصهيونية ــ عادت فجأة للظهور ، لتثبت وجودها وقوتها ، وتحتل مكانتها فى العالم ، ولتثبت ان الشعب العربى قد آمن بها أشد الايمان .

ليست رياسة فرد

هذه القومية العربية ليست من فعل فرد ، وليست من فعل افراد ، وهى خالدة ما دام الشعب العربى يؤمن بها ويعمل من أجلها ..

هذه القومية سيرتفع علمها .. لن يرفعه جمال عبد الناصر وحده ، وما جمال عبد الناصر الا جندى للقومية العربية .. ولكن سيرفعها الشعب العربى فى كل بلد عربى .

هذه القومية العربية ، لا تعنى مطلقا رئاسة فرد أو رئاسة أفراد ولكنها تعنى سيادة الامة العربية وسيادة الشعب العربى .

هذه القومية العربية اذا كنا رفعنا لواءها وتسلمنا قيادها فان قيادها سيستمر من يد الى يد على مر الزمن بين كل أفراد الامة العربية ، وبين كل أفراد الشعب العربى ..

القومية كفاح ومشاعر

هذه القومية العربية لا يمكن أبدا أن تكون لواء لفرد .. أو أن يرفع لواؤها لجمال عبد الناصر ، لان القومية العربية هى أنتم . . هى مشاعركم .. هى آلامكم .. هى كفاحكم .. هى قتالكم .. هى دماء شهدائكم وأبنائكم وأجدادكم .

هذه هى القومية العربية التى أفهمها ، والتى أنادى من أجلها .. والتى نعمل لها .. هى أن يستقل البلد العربى ، وأن تنبع سياسة

الامة العربية من بين أرجاء الوطن العربى ومن ضميره ، فـلا تكون نابعة من مستعمر أو مستبد ..

بل ان القومية العربية هى ان يتحرر الوطن العربى وان يرفع عن أكتافه ذل الاحتلال ونير الاستعمار

هى ان يقاتل الوطن العربى ليتقدم ، ويرفع مستواه الاجتماعى ، ويحقق لنفسه النهضة التى حرم منها ..

هذه هى القومية ، ليست قيادة جمال .. ولا قيادة فرد ..

واذا قلنا بوحدة القيادة ، فانما نعنى بها قيادة المخلصين الذين يعملون من اجل وطنهم ..

ان جمال عبـد الناصر حينما كان فى هذا الوقت ليحمل هـذه الرسالة باسمكم ، باسم هذا الشعب ، انما آلى على نفسه ان يسلمها لهذا الشعب قوية راسخة ، عزيزة المبادىء ، منيعة الاهـداف .. هذه هى القومية العربيـــة التى يعمل الاسـتعمار على أن يهزمها ويفتتها ، لانه يشعر أنها لكم عزة واستقلال ، وانها له نهاية الاحتلال ، وخاتمة الاستغلال .

القومية كرامة وبناء

انها لكم كرامة وبنـــاء ، وانها لنهاية لعهد العمـلاء .. انها لكم الوحدة والمنعة .. وانها له نهاية مناطق النفوذ .

واذا أراد الاستعمار اليوم بعد ان شعر بقوة القومية العربية التى هى قوتكم أن يدس بين أبناء الوطن العربى ، ويفرق بينهم ، فاننـا نقول له : أن هذا العمل ليس جـديدا علينا .. وان دسائســه لن تفرق بين أبناء الوطن الواحد ، ولن تفتت وحدتهم .

سلاح الاستعمار أعوانه وأذنابه

ان سلاح الاستعمار اليوم هو أعوانه ، ولن يستطيع ان ينفـذ بيننا ، أو يتمكن منا الا اذا اعتمد على أعوانه .

ولكن لم تعد لقوة الاستعمار السطوة التى كانت لها ، ولم تعـد لاعوانه الاسطورة التى كانوا يخدعونكم بها ...

فالامة العربية فى كل بلد عربى قد استطاعت أن تكشف الاستعمار واعوانه . اننا اليوم نرى الاستعمار الذى انهزم فى بور سعيد وانهزم حينما أراد ان يخضع البلاد العربية لتنضم الى حلفه بغداد . حينما انهزم هدد وتوعد ، نراه اليوم يقوى أعوانه القدامى ويخلق أعوانا جدا .

ولكن أينتصر اعوانه أم تنتصر الكرامة العربية ؟ لقد انتصرت الى اليوم الكرامة العربية ، والقومية العربية ، بعد هزيمة الاستعمار وقتل اعوانه .

القومية وحدة وتضامن

انهم يريدون أن يقسموا أبناء الوطن الواحد ، ويريدون أن يدسوا بين أبناء الوطن العربى ، لا لسبب الا لانهم يشعرون أن القومية العربية اذا تحققت ، وأن راية الوحدة وعلم الاتحاد والتضامن اذا انتصرت ، فان الاستعمار لن يجد بين أرجاء المنطقة العربية منطقة نفوذ .

اننا نعنى بالقومية العربية أن نكون مستقلين ، وأن ينبع هذا الاستقلال من ضمير أبنائنا ، وأن نعمل بسياسة مستقلة تنبثق من افئدتنا ، لا نكون ذنبا لبلد آخر ، ولا نخضع لنفوذ مستبد أو جبروت مستغل ..

فالقومية العربية وحدة وتضامن واتحاد .. قومية مبنية على الحق ومصلحة العروبة ، لا مصلحة الاستعمار ، ولا مصلحة مناطق النفوذ .

هذه هي القومية العربية التى نحس بها ، والتى يحس بهاالشعب العربى فى كل بلد عربى .

يقظة العرب

وقد يتوهم الاستعمار أنه يستطيع أن يكسب جولة أو جولات معتمدا على اعوانه ، ولكنا نقول له ان الشعب العربى فى كل قطر عربى على حذر ، متيقظ لاساليب الاستعمار ، ويعرف حق المعرفة أعداءه ومستغليه .

وقد تطول المعـــارك بعض الوقت ، ولـكن النصر دائمـا للحق والعقيدة .. النصر دائمـا لمن يتعظون من دروس المـاضى ، ونحن الآن نتعظ من دروس الماضى ونتذكر المعارك ونتجه للمستقبل فى امل! ...

اذاعات واشـاعات ودسائس

هذه هى القومية العربية التى شن الاستعمار عليها حربا عوانا جند لهـا جميع امكانيـاته . حـرب الاذاعات ، حرب الدسـائس والتشهير . حرب التخويف والاقتصاد .

لماذا جند الاستعمار كل قوته ضد القومية العربية ؟ انما فعل ذلك لانه يشعر أن تحقيق القومية العربية وانتصارها سيمكن من قيـام أمة عظمى ، لا تخضع لمناطق النفوذ ، ولا تقبل سياسة الانحيـاز وتصمم على أن تنهج سياسة مستقلة خاصة تنبع من قلوب أبنائها المخلصين .

انتصرنا حين اتحـدنا

ان الاستعمار يحارب القومية ، لانه يشعر أنه اذا فتتت هذه الامة يستطيع أن يتغلب عليها ، وأن يعيد الماضى بمآسيه وآلامه .. واذ نظرنا الى الوراء فانا نرى أن هذه الامة كانت تشعر دائما بالقوة والعزه والمنعة اذا تضامنت وتضافرت واتحدت . وكانت دائما تسقط تحت الذل والاحتلال حين تتفرق وحدتها وتضعف كلمتها .

القومية أمان للعرب

وهذا هو الذى دعانا لنعلن من أول أيام ثورتنا هذه : أن القومية العربية هى الامان الوحيد لكل بلد عربى . ونادينا من أول يوم من أيام هذه الثورة : بأن الدفاع عن هذه الامة العربية يجب أن ينبثق من بين أرجاء أمتنا ، لا من الاحلاف التى تسيطر عليها دول كبرى ..

وأن سياستنا يجب أن تكون سياسة الحياد وعدم الانحياز . وكنا نشعر ونحن نقول ذلك أننا بهذا نحقق السيادة لانفسنا ولبلادنا

ليست القومية العربية قيادة فرد .. ليست توحيد بلد عربى دون رغبة أبناء هذا البلد ..

ولكن القومية العربية : اقتناع وايمان وقيادة موحدة .. ثم هى اجماع من الشعب العربى فى أى بلد عربى

انتصــار بغداد

هذه هى القومية العربية التى تمسكنا بها ، فانتصرنا فى بورسعيد .. والتى تمسكنا بها أيضا فانتصرنا فى بغــداد حينما قامت ثورة العراق وجند الاستعمار أسلحته ، وشعرنا من قلوبنا بأن علينا واجبا نحو أخوتنا فى العراق ، هو واجب القومية العربية لنتضامن معهم فى معركتهم ، فانتصرت بغداد .. وكان انتصار بغداد انتصــارا لكم جميعا ، وانتصارا لكل عربى فى كل بلد عربى .



الوحدة سلاحنا ضد الاستعمار

نحمد الله على ان القومية العربية التى كانت شعارا وعلما أصبح حقيقة واقعة يشعر بها كل فرد من أبناء الامة العربية ، كما يشعر بها العالم أجمع ويتكلم عنها ، وتعترف بها دول العالم اجمع ، الدول التى قاومتهـا ، والدول التي وقفت فى سبيلها ، والدول التى آلت على نفسها أن تحطم القومية العربية بكلّ وسيلة من الوسائل وبكل طريقة من الطرق .

واليوم يرى كلّ فرد من أفراد الامة العربية انتصار القومية العربية التى تمثل نفسه وضميره وايمانه وقلبه ، ويرى انها حركة تاريخية وتطور طبيعى فى أرجاء الامة العربية عملت القوى الطامعة الغاشمة على أن تحطمها وتقضى عليها بكل الوسائلّ والسبلّ ، فاستطاعت أن تضعفها ولكنها لم تستطع ان تطفىء النار التى اشتعلت فى القلوب لان كلّ قلب من قلوب أبناء الامة العربية آمن بأن القومية العربية هى سبيل العزة والكرامة ، وهى سبيلّ الحرية والقوة والوحدة ، فاذا تحققت الحرية فلا بد أن تتحقق القوة ، واذا تحققت القوة أو تحققت الوحدة فلا بد ان تتحقق الحرية .

لقد حاول المستعمر بكلّ الوسائلّ أن يعتمد على أعوانه فى البلاد العربية ، ليثبت نفوذه ويقضى على القومية العربية .. حاول بالتفتيت وبالوقيعة .. وحاول بالتقسيم .. تقسيم أبناء الوطن الواحد ، كل يتبع آراء تختلف عن الآخر حتى ينفذ بينهم ، ويسيطر عليهم ، وقد استطاع الاستعمار أن ينجح بعض الوقت ، ولكن الوعى العربى كان أقوى من قوة الاستعمار ففطن الى الوقيعة ، وفطن الى الدس .. وكانت الصحوة الكبرى التى نبهت العرب فى كل مكان ، لمحاولة القضاء على القومية العربية واقامة قومية صهيونية بين أرجاء العالم

* من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى افتتاح مجلس اتحاد الدول العربية يوم الاربعاء ٣-٩-١٩٥٨

العربى .. أقاموا القومية الصهيونية وأوحوا لها بأنها تستطيع أن تتسع وتتسع على حساب القومية العربية ..

وأعلنت القومية الصهيونية التى احتلت ارض العرب فى فلسطين ان وطنها المقدس يمتد من النيل الى الفرات ووجدت القومية الصهيونية بين أعداء القومية العربية من ساعدوها وسلحوها ومنعوا السلاح عن العرب حتى تستطيع أن تقضى على القومية العربية التى لم يستطيعوا أن يحطموها أو يقضوا عليها .

وبدأت القومية العربية تحس بالخطر .. وتتكاتف وتتآزر ضد الخطر الاستعمارى .. ضد الاستعمار العالمى ، ضد الصهيونية العالمية .. وبدأ العرب فى كل مكان ، أفرادا وجماعات ، كل منهم يعمل على التضامن والوحدة والاتحاد حتى تثبت أركان القومية العربية ، لنحمى أرضنا وبلادنا ضد أطماع الطامعين وجشع المستعمرين وأطماع الصهيونية العالمية .

* * *

أراد الاحتلال الذى استولى على بلادنا أن يجابه القومية العربية بالدعاية أو بالاحتلال ، ففشل الاحتلال وفشلت الدعاية واستطاعت القومية العربية أن تنطلق لانها حركة روحية وحركة تاريخية .. انطلقت فى كل مكان .. قالوا انها حركة مصطنعة ولم تكن قط حركة مصطنعة . فما خلق من يستطيع أن يصطنع مثل هذه الحركة بين أرجاء العالم العربى . ولكنها حركة قديمة راسخة فى القلوب عميقة الجذور فى أبناء الامة العربية وفى حياة البلاد العربية ، قد تشبع بها كل فرد من أبناء القومية العربية .

وحينما قامت ثورة العراق انتصارا للقومية العربية فى هذا البلد المكافح ، وظهرت فيه حكومة حرة تدافع عن آمال الشعب العربى وتقضى على سياسة العملاء وسياسة أعوان الاستعمار ــ أصيب الاستعمار بجزع ويأس .

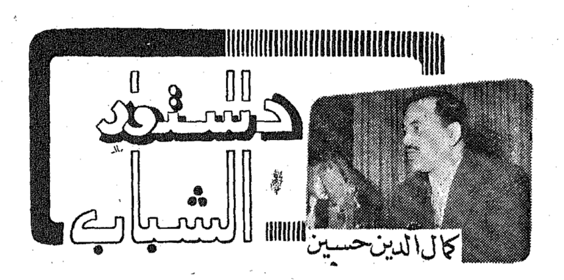
واليوم نرى بين أرجاء الوطن العربى معارك .. فى الجزائر بين احرارها الذين يريدون الحرية لبلادهم والاستقلال لوطنهم ، وفى عدن

التى تدافع ضد الاستعمار البريطانى .. وفى جنوب الجزيرة التى تلاقى الكثير من العنف والطغيان ؟ والتى تجابه قوى غاشمة مزودة بالسلاح والعتاد .

* * *

ان تهديد القومية العربية هو تهديد لاستقلال جميع الدول العربية. وطالما كان هناك احتلال أجنبى فاننا جميعا تحت السلاح لندافع عن أوطاننا وعن حرياتنا وعن مقدساتنا .





باسم الله نفتتح هذا المعسكر الكشفى العربى الثالث ، فى هذه البقعة من أرض الوطن العربى .

وباسم العروبة نحيى شباب العروبة المجتمعين من شتى أقطار الوطن العربى على هذا الصعيد الطاهر ، نحييهم ونرحب بهم ، ونحيى معهم اخوانا لهم فى أقطار عربية أخرى ، حالت الحوائل دون اشتراكهم فى هذا المعسكر العربى الجامع .

شباب العرب

نحييكم ونحييهم ، ونحيى معكم ومعهم شباب العرب على ضفتى الاردن ، وفى أرض الجزائر ، وفى بقاع أخرى من الوطن العربى ، كان بهم مثل حرصكم على هذا الاجتماع فى هذه البقعة من أرض الشام الحبيب ، البلد الذى صارع الطغيان حتى صرعه ، وكافح للحرية حتى ظفر بها ، وعمل للوحدة حتى تحققت له وتحققت به أول خطوة مباركة من خطوات الوحدة العربية الشاملة .

تونس العزيزة

نحييكم جميعا ، ونحيى بلدنا هذا الطيب الذى التقينا على صعيده اخوة متحابين ، متعاونين على الخير ، وعلى الحب والسلام

* القيت فى المؤتمر العربى الكشفى الثالث بالزبدانى من الاقليم السورى فى ١٩٥٨/٨/٢٤

والرحمة ، ونحيى معه بلدا آخر طيبا كريما ، هو تونس العزيزة التى كانت تحرص على اجتماعكم فوق أرضنا ، ثم حالت الحوائل دون ماكانت تتمنى وتتمنى ، فكان اجتماعنـــا هنا ، من كل قطـــر عربى ، فى هذه البقعة من الوطن العربى .

الوطن العربى

انكم هنا ، وفى كل مكان من أرض العرب ، برهان حقيقة القومية العربيـــة التى استعلنت بكامل معانيهـــا فى كل مجال وفى كل مجتمع دولى ، بكفاح أحرار العرب فى كل وطن عربى .

انى لأستشعر الساعة وأنا أجيل عينى فيما حولى فأطالع هـــذه الوجوه النضرة وقد التقت على ميعـــاد وفكرة وهدف ، أن فجرا جديدا يبرق شـــعاعه فى الافق ، وكأنى أرى ضـــحاه القريب وقد انتشر فى كل الآفاق نورا وأملا ومستقبلا سعيدا للامة العربية .

ذلك الفجر الضاحى أنتم شعاعه أيها الشباب ، وأنتم نوره وأمله ، وأنتم فيه المستقبل السعيد للامة العربية .

برهان القوميـــة العربية

ايها الشباب :

لقد التقيتم من شتى دياركم هنا ، لتتعارفوا ، وتتآلفوا ، وتوثقوا عهـــد الاخوة التى تربطكم أواصرها منـــذ آماد سحيقة ، الى آباد ليس لها نهاية ..

انكم جميعا اخوة لأب وام ، وان هـــذه امتكم أمة واحدة ، وان هذا وطنكم وطن واحد ، وان تباعدت دياركم وانتشرت بين المحيط والخليج .

هذا الاجتماع الحاشد برهان تلك الحقيقة ، ولكن برهانها الاعظم هو الذى تصنعونه غدا ، وأراكم قد بدأتم تصنعونه منذ اليوم ، حين التقت اكفكم عند أول لقاء لتتعاهدوا عهد الاخوة على أن يكون كل جهادكم لامتكم ، للعروبة ، للوحدة ، للحب والســـلام والرحمة فى الوطن العربى ، ليكون العرب جميعا أخوة متحابين متعاونين ، سادة

فى انفسهم ، احرارا فى وطنهم ، ليس على شبر من ارضهم موطىء قدم لأجنبى .

هذا العهد الذى تعاهدتم عليه منذ أول لقاء ، هو أول البرهان الاعظم الذى تصنعونه غدا ، ليؤمن العالم كله أن العرب أمة واحدة، تؤمن بمثل عالية واحدة ، وتعمل لبلوغ غاية واحدة .

انتصار العروبة

ياشباب العرب ...

انا لنحمد الله أن هيأ لنا فى كل يوم نصرا ، وهيأ لنا مع كلّ نصر برهانا جديدا على قوة التضامن العربى ، وعلى قدرة العرب فى تضامنهم ، وعلى انهم قوة ذات خطر فى ميزان السلام العالمى .

بالأمس ، فى هيئة الامم المتحدة ، اجتمع العرب على راي واحد، لمقاومة الاستعمار ، والاحتلال ، والتدخل الاجنبى، فكان اجتماعهم سبيلا الى نصر جديد أحرزناه على كلَ قوى العدوان مجتمعة ،

وكان اجماعهم سبيلا الى اجماع العالم على الاعتراف بحقنا فى التحرر والسيادة .

نصر مؤزر ادركناه بالرأي المجتمع ، ليكون برهانا جديدا ، الى برهان آخر ليس ببعيد ، يوم طردنا الغزاة عن أرضنا فى بورسعيد وعلى شاطىء القناة ، ويوم وقفنا سدا منيعا فى وجه المؤامرات ضد هذا الجزء الذى نجتمع فيه من وطننا العربى .

برايٍ العرب المجتمع ، أذللنا كبرياء الاستعمار ورددناه مدحورا على اعقابه ، تتقاذفه لعنات الاحرار فى كلَ أمم الارض .

وبالراي المجتمع ايها الشباب ، بالوحدة ، بالتضامن العربى ، نستطيع أن نحرز كلّ يوم انتصارا لقضية الحرية .

من وراء السدود

ها أنتم اولاء تتلفتون حواليكم تفتقدون شبابا من شباب العرب كان مكانهم الى جانب مكانكم هنا ، فى هذا المعسكر العربى الجامع ،

فلا تجدونهم ، ولكنكم تسمعون هتافهم من وراء السدود والقيود، يدعون للحرية ويعملون لها .

ان أصوات جميلة بوحريد فى الجزائر ، ونادية السلطى فىالاردن، تتردد أصداؤها فى آذانكم هنا وفى آذان اخوانكم فى كل مكان من الوطن العربى .

فتاتان من شباب العرب ، تقدمان البرهان على أن كفاح الشباب العربى للحرية ليس وقفا على الفتيان دون الفتيات .

روح الله

أن روح الله التى نفخها فى شباب العرب فى كل مكان فانبعثوا للكفاح ، لايمكن أن تخمد ، بل هم الذين سيخمدون أنفاس الاستعمار وعملاء الاستعمار فى كل أرض عربية .

وكما يكافح الجزائريون حتى الموت للحرية .

وكما يكافح أحرار العرب فى عمان والبحرين وعدن ، وفى لبنان وعلى ضفتى الاردن ، وفى فلسطين .

وكما كافح احرار العراق حتى انتصروا وكتبوا بأيديهم تاريخ أمتهم ومستقبل وطنهم ...

سيكافح شباب العرب فى كل مكان حتى يتحقق النصر الكامل للامة العربية المتحدة ، فى الوطن العربى المتحرر . ستكافحون حتى تنتصروا ويتحقق المجد للعرب .

انكم أيها الشباب ، الجيش الكبير الزاحف الى مجد المستقبل .

المكاسب التى حققناها

لقد كان آباؤكم وقادتكم من قبلكم روادا على هذا الطريق ، ولم يكن طريقهم مثل طريقكم سهلا ولاممهدا ، فقد كان ثمة الاستعمار، وكانت الاطواق فى الاعناق ، وكانت السلاسل فى الايدى والارجل ، وكانت السجون والمنافى وفوهات البنادق ، ولكن كل أولئك لم يمنع آباءكم عن الكفاح ، لم يثنهم عن العمل، لم يقعد بهم عن البذل والفداء.

وادوا الطـريق والموت يتربص بهم من كل جانب ، حتى بلغـوا لامتهم ذلك المجد : شبوا عن الاطواق فى الاعناق حطموا السلاسل فى الايدى والارجل ، دكوا جدران السـجون ودمروا معسـكرات الاعتقال ، كسروا شوكة الاستعمار وأذلوا كبرياءه ، طردوا الدخلاء والطغاة من أرضهم وحققوا لاوطانهم الحرية ولشعوبهم السيادة ، نقلوا أمتهم فى التـاريخ مرحلة وجعـلوها على أول الطـريق الى مجد جديد .

على هـذا الطريق الجديد زحفكم أيها الشباب ، وعلى كواهلكم بلوغ مداه .

الاستعمار يتربص

ان العدو الذى قهرناه وأذللنا كبرياءه لم يزل يتربص بنا الدوائر. انه ينتظر غرة ليثب وثبة يسترد بها هيبته ويعوض خسـارته ، وعليكم أنتم نوبة الحراسة ، وعليكم مع نوبة الحراسة دور كبير فى العمـل الايجابى ، لتنقلوا أمتكم فى التاريخ مرحلة جديدة كالمرحلة التى نقلها آباؤكم واخوانكم .

تبعات النصر

أيها الشباب :

ياشباب الامة العربية المنتصرة :

ان على جيلكم الصاعد تبعات النصر الذى حققه آباؤكم واخوانكم ، وتبعات النصر دائما اثقل عبئـا من تبعات البـادىء فى المعركة . حقيقة يجب أن تستيقنوها لتستشعروا واجبـكم كاملا وتعرفوا على أي طريق تخطون فى معركة الغد .

ان معركة الغد حامية ، لان عدوكم يحارب لغايتين ، هما النصر والثأر ، وهيهات أن يبلغ نصرا أو يدرك ثأرا وفيكم عزيمة . ان أولى العزيمة لا ينهزمون أبدا ، لان العزيمة خلق ، وهيهـات أن ينهزم صاحب خلق .

هيهات ان يهزمكم العدو مادمتهم مستمسكين بالخلق والفضيلة ، فليكن الخلق والفضيلة أمضى أسلحتكم فى كفاح ذلك العدو .

ان القوة والعتاد والسلاح لا تغلب صاحب حق على حقه ، وانما يغلب صاحب الحق حين يغفل عن الحق ، أو حين يغفل عن الخلق، أو حين يغفل عن الفضيلة ، او حين يضعف ايمانه بالله .

عناصر النصر

الايمان بالله ، والايمان بالحق ، والايمان بالخلق والفضيلة : ثلاثة عناصر يتحقق بها النصر فى كل معركة ، ولا يتحقق بغيرها نصر . فاحرصوا على أن يتحقق لكم النصر بأسبابه : بالايمان بالله ، والايمان بالحق ، والايمان بالخلق والفضيلة .

أيها الشباب ...

لسنا دعاة حرب ، ولكننا طلاب حق ، فان بلغنا حقنا بالسلام فقد بلغنا غايتين ، والا طلبنا حقنا بكل سبب حتى نبلغه ، لنبلغ به السلام الدائم لنا وللبشرية كلها .

كن مستعدا

ياشباب الكشافة :

اذا كان شعاركم منذ كنتم « كن مستعدا » فانه اليوم شعار كل عربى ، حتى تتحقق للعرب حرياتهم وسيادتهم فى وطنهم .

كونوا مستعدين ابدا ، فذلك شعاركم باعتبارين : فى معسكر الكشافة ، وفى معسكر التحرر العربى .

لتثبيت هذا الشعار كان اجتماعكم هنا فى هذا المؤتمر الكشفى الكبير ..

ان جامعة الدول العربية التى هيأت لكم هذا الاجتماع فى هذا المؤتمر والمؤتمرين السابقين ، تعدكم لواجب عظيم ، فلا يفوتنى ان أشكر لها جهدها هذا الكبير ، لتحقيق هذا الهدف الكبير .

ان الحب والسلام والرحمة من شعاراتكم ، وهى شعار مجتمعنا

العربى ، لان رسالة العرب أبدا هى السلام والحب والرحمة ، فأحيى مرة أخرى هذه الجهود العظيمة التى تبذل لتعريب الحركة الكشفية فى المؤتمرات المتتالية ، لتكون هذه الحركة خيرا للعرب ، ومن ثم تصبح أقدر على أن تسدى الخير فيما وراء حدود الوطن العربى .

أيها الشباب :

انى ليسعدنى اذ أراكم واستشعر كل هذه المعانى فى وجوهكم ، ان أحمل اليكم مع تحية شعب الجمهورية العربية المتحدة ، تحية رئيسنا وقائدنا ورائدنا على طريق الحرية والمجد ، البطل جمال عبد الناصر . انه يحييكم مؤمنا بكم ، لانكم أمل الغد ومجد المستقبل لامتكم .

سدد الله خطاكم ووفق سعيكم ، وشكر لقادتكم مايبذلونه من جهد لتسديدكم ، وكتب لامتكم النصر بكم .

والسلام عليكم ورحمة الله .





فى جلسة ثقافية علمية ، تخللتها احاديث وذكريات، تقدمنا الى الاستاذ محمد سعيد العريان ، ليجيب عن ذلك السؤال الذى يجول فى نفوس كثير من شباب العرب عن : ماهية القومية العربية ومفهومها . فقال :

كلمة « القومية العربية » الى اليوم ليس لها مفهوم واضح وضوحا عقليا . فهي من الكلمات التى تحتاج الى تحديد كبير . لكن ينبغي أن يكون أول تحديد لها نابعا من الشعور ، والقلب ، والايمان قبل أن يكون من العقل .

وسبب اختلاط مفهوم القومية على المثقفين وغيرهم ، أنها اصطلاح سياسى جديد ، وكل اصطلاح يتحدد معناه بما يقول أهل فنه . ولاهل الفن السياسى ، أو علماء المجتمع السياسى تعاريف للقومية ــ عربية كانت أو غير عربية ــ وهى فى نظرنا تعاريف تحتاج الى كثير من الوضوح والدقة حتى تكون جامعة مانعة .

وكلمة « قومية » ــ كما يبدو من لفظها ــ كلمة مصنوعة فى العربية ، فهى صيغة من صيغ المصادر الصناعية .

« قومية » أي صفة تجمع « قوما » على نسب . فهى بهذا المدلول اللغوى كلمة مستحدثة : أي وجد لها معنى فاستتبع لفظا فكان هذا اللفظ .

فعلينا أن نسأل : متى وجدت هـذه الكلمة فى قاموس اللسان العـربى ؟.. لقد وجدت حينمـا بدأنا نترجم العلوم السياسـية الاوربيـة . فوجـدنا من مصطلحـات العلوم السياسـية الاوربيـة كلمة Nationalisme فوضعنا لها كلمة قومية . هذه الكلمة اذن لم توضع فى الاصل لان لها مفهوما أصيلا فى لسان أهلها ، وانما كان مفهومها الاصطلاحى سابقا لوجودها فى اللسان العربى ، فهو فى علم غير أهلها قبل ان يكون فى علم أهلها .

انتهينا اذن الى هذه الحقيقة ، وهى حقيقة لا تقبل الجدل . لان طبيعة النحت والصـياغة للكلمة تدل على أنها وجدت لمعنى ، أو جدت بعد المعنى ، أي أن المعنى غريب عن لسانها ، واذن فكلمة قومية ، كاصطلاح سياسى ، ليست عربيـة ، وانما وجدت فى أمة أخرى ، فترجمت ، والترجمـة دائما ينبغى أن تؤخذ بحذر فى المسائل التى تتصـل بالدين والقوميـة ، وكثير من المترجمين فى بلادنا يحاولون أن يترجموا علمـا فيترجمون أمة ، بارادة أو بغير ارادة ! ..

وكلمة قومية ، حينما وجدت عند أهل العلوم السياسـية فى اوربا ، وجدت لتعبر عن مرحلة تاريخية فى حياة أوربا . وجدت حين بدأت حركات التكتل القـومى فى ايطاليـا والمانيـا فى القرن التاسع عشر وحركات التكتل هذه كانت ظاهرة تاريخية ، استرعت انتبـاه المهتمين بالمجتمـع السـياسى ، والمهتمين بتاريخ الحركات السياسية ، فرأوا أن يحللوها الى عناصر ، فقالوا : جماعة يشتركون فى امتلاك أرض .. جماعة يشتركون فى لسان ، أو مذهب دينى ، أو مصالح اقتصادية ، جماعة للارض التى تقلهم وحدة جغرافية ذات حدود مشتركة ، وهكذا .. خصـائص عنصرية .. دم .. جذر فى التاريخ... أمل مشترك للمستقبل . كل هذه الخصائص التى نظروا اليهـا اعتبروها هى الدوافع لهـذه الظاهرة الكبرى ، ظاهرة التكتل فيما يسمى الوطن الايطالى أو الوطن البروسى ...

القومية احساس نفسى

ولكن ، هل استطاع الذين وضـعوا كلمة « القوميـة » لهـذه الظاهرة ان يضعوا لها الحد الجامع المانع الذى يدخل كل ما يوصف

بها ، ويخرج كل ما لايمكن أن يوصف ؟ لا ، وانما استطاعوا فقط أن يقولوا : القومية شيء فيه لغة ولسان وأرض . فيه مصلحة وعنصر وأمل ومستقبل ، فيه أوصاف وحدود جغرافية .

والذى وضع كلمة قومية للتكتلات الايطالية والالمانية فى القرن التاسع عشر ، لم يكن ينظر وقتئذ أن يرى قومية عربية على الساحل الجنوبى للبحر المتوسط ، ولو أنه نظر اليها لاستطاع أن يضيف عناصر وصفات أخرى يمكن أن تتميز بها قوميات ، ليس منها القومية الايطالية أو الالمانية ، ولكن قومنا المترجمين حين نقلوا الينا كلمة « قومية » فى العربية نقلوها ومعها ايطاليا والمانيا ، وظواهر وصور للتكتلات الايطالية والالمانية ، التى حدثت فى أوربا فى القرن التاسع عشر ، وجعلوها كأنها هى الحد الجامع المانع ولا حد غيره . فكل ماتنطبق عليه هذه الصفحات فهو قومية ، وما لا تنطبق عليه فليس بقومية ... ولكننا نحن جميعا نحس احساس الابوة والاخوة والعمومة والخئولة والماضى والمستقبل والالم والامل ، ان شيئا ما أقوى من كل تحديد منطقى ، يربط بين الجماعات ، بل بين الملايين فى هذه المنطقة ، نستطيع أن نسميه قومية ولا ينطبق عليه وصف القومية كما يحاول تحديدها أولئك المترجمون .

ومن هنا نشأ نوع من الاختلاف بين مفهوم القومية كما نقلها المترجون الى العربية عن ايطاليا والمانيا ، ومفهوم القومية كما نحسه نحن فى نفوسنا ، ومن أجل هذا قلت اننا حين نريد أن نتحدث عن القومية العربية ، يجب أن نبدأ من قلوبنا لا من عقولنا .. من احساسنا لا من معارفنا ، لان قلوبنا تحس قومية، احساساتنا فيها قومية .. أما عقولنا ومعارفنا ففيها قومية بمعنى آخر : قومية ايطالية .. أو قومية المانية .. هذا هو السبب الذى يجعل بعض المثقفين ثقافة الترجمة ــ ترجمة اللسان أو ترجمة النفس ــ يتساءلون باستمرار : مامفهوم القومية العربية ؟ سؤال منطقى ، لانهم أخذوا كلمة قومية مترجمة عن لغة أو مترجمة فى نفس ، وأنا لا أجد جوابا عندى على هذا السؤال ، وانما أتحدث عن « القومية العربية » ، لانها عندى احساس ، واقتناع ، وايمان، فلندخل فى احساساتنا لنبحث : عن الوصف أو الحد الجامع المانع

لكلمة «قومية عربية» ؟.. بأي معنى حاول الصليبيون أن يحاربونا على سواحل مراكش والجزائر وتونس وليبيا ، فيرتدون . ثم بدأونها حربا أخرى من أنطاكية واللاذقية وطرابلس وبانياس بيت المقدس فيرتدون . ثم يحاولونها ثالثة فى دمياط والمنصورة فيرتدون . ثم يحاولونها رابعة على سواحل تونس فتكون مقبرة قائدهم فى تونس ..؟

بأي معنى حاولوا هذه المحاولات المتوالية ، فى جبهات عدة ؟..

ان القوم الذين بداوا هذه الحرب من الشمال كان يجمعهم احساس مشترك .. حاربوا أرضا متفرقة ، احسوا أن لها وضعا مشتركا . هذا الوصف المشترك لتلك الارض المغزوة . فى القرون الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر — قرون الحروب الصليبية —

هذه الارض المتفرقة كانت فى احساس كل بشر يعيش فى العالم الصليبى فى ذلك الوقت .. كانت تجمعها صفة مشتركة ، تلك الصفة هى التى عبر عنها التاريخ بكلمة تنتقل عبر القرون من ذلك الوقت الى اليوم . حين يصف أهلها بانهم « أولاد العرب »

و «عرب» . و «عرب» هى الكلمة التى جاءت على لسان كل الغزاة الصليبيين من بريطانيا وفرنسا وروما والقسطنطينية ، كلهم عبروا عن هذا الساحل ، وعن الشعوب أو الشعب الذى يعيش على هذا الساحل ، بأنهم « أولاد عرب » ، وبأنهم «عرب» . ولا تزال هذه الكلمة فى كل معاجم الانجليز والفرنسيين واليونان والالمان والايطاليين

وغيرهم الى اليوم . هذه الكلمة هى الصفة المشتركة التى نعنيها نحن حين نتحدث عن القومية العربية . وهى قومية لها خصائص وعناصر غير ماوصفوا من خصائص القوميات الاخرى وعناصرها .

هو احساس أصيل عريق ضارب فى اغوار الماضى الى أبعد ما نذكر من أصول التاريخ ، بل ضارب فى أعمق اغوارنا قبل أن نحس وجودنا ».

ان كلمة القومية — كما اسلفت — دخيلة فى مفهومنا ومفهوم الناس ، حديثة فى مفهومنا ومفهوم الناس ، لانها ليس لها — كما قلت — مدلول عقلى كامل يجعلها اصطلاحا علميا وحدا منطقيا جامعا يعبر عن معنى مدرك كل الادراك العقلى ، واذن فان عناصر ذلك المدلول الجديد جديدة أيضا على مفهومنا ومفهوم الناس ،

لانها لم تتضح وضوحا تاما قبل أن تستخدم هذه الكلمة لمعناها .

واستطيع أن اقول ان أكثر الذين يسألوننى وأكثر الذين يسألونكم عن معنى القومية العربية انما يسألون ، لانهم يفهمون كلمة قومية فى قالبها الاوربى ...

واذن فالقومية العربية أقدم جدا من كلمة القومية ، ومن الاصطلاح الذى اتفقوا عليه لتحديد معنى القومية ، وأراكم جميعا ـ مثلى ـ لاتنكرون أن كلمة القومية كاصطلاح تاريخى أو اصطلاح جغرافى ، أحدث جدا من القومية العربية كشىء .. وكاحساس ..

وكواقع ، ومن الظلم البين للحقيقة ولانفسنا أن نحاول تطبيق شىء جديد على واقع قديم ، وانى اذ أقول هذا أريد أن أخلص منه الى معنى آخر ، هو أن القومية العربية موجودة فى الواقع وفى التاريخ منذ أكثر من أربعة عشر قرنا .

الاسلام والقومية

ليس صحيحا أن يقال ان الاسلام هو المقصود من القومية العربية ، ومثله فى البعد عن الصحة أن يقال ان المسيحية هى المقصودة بكلمة الصليبية ، فان كثيرا من الذين كانوا يحاربون تحت راية الصليب فى ذلك الماضى البعيد لم يكونوا من المسيحيين المؤمنين ، وكل الذين كانوا يحاربون الصليبين فى ذلك التاريخ تحت راية «أولاد العرب» لم يكونوا جميعا من المسلمين ، والمسألة أن كلمة اسلام فى ذلك الوقت كانت صفة من صفات العروبة ،

وهنا أستطيع أن اذكر أول عنصر من عناصر القومية العربية ، وأذكر معه شيئا آخر ، هو أن العرب كجنس وكعنصر ، لم ينتشروا فى الارض الا منذ كان الاسلام ..

قبل الاسلام كان العرب جماعات وقبائل فى نجد والحجاز واليمن والحيرة والشام ، فلما جاء الاسلام صارت لهم الخصائص المشتركة التى خرجوا بها عربا ، فالاسلام اذن ـ بصرف النظر عن أنه دين ـ عنصر من عناصر وجود الامة العربية ، لانه هو الذى جعلها تخرج من فرقتها الى الوحدة ، ومن التصاقها بالارض الى أن تنتشر فى كل أرض ، ومن عزلتها فى البادية وما حواليها الى المجتمع البشرى الكبير ، وبهذا أستطيع أن اقول : ان الامة العربية

يجمعها على اختلاف أديانها دين مشترك ، لانها تجتمع على مثل واحدة .. الاخطل في القرن الاول للهجرة ، لو لم يقل التاريخ انه نصراني لما أحس قارئه من صفاته الا انه عربي .. هو جرير ، هو الفرزدق .. وهو ابن ابي ربيعة ، وهو كل المعاصرين من لشعراء .. المثل واحدة .. الدين العربي واحد ، فكلمة اسلام ليس مقصودا بها شعائر دين تعارض شعائر دين آخر ، لانالاسلام الذى نعنيه هو المثل العربية ، الفضائل العربية ، الاحساس المشترك في كل نفس عربية .

فطرة العرب

تعال الى لبنان . وكثير من أهل لبنان يصفونه بأنه بلد مسيحى لشعب مسيحى ـ تعال الى هذا البلد نخالط أهله ، ونعايشهم ، ونسألهم الرأي فيما يستحسنون، ونوازينهم في الحسن والقباحة ، في الفضيلة والرذيلة ، نجدهم على دين العرب . المرأة المسيحية اللبنانية تحس في باطنها حجابا يمنعها أن تتبذل او تبذل نفسها ، وان لم تضع على وجهها الحجاب . تماما كما تحس أختها العربية المسلمة في الحجاز ، او في القدس .. لانكاد نفرق بين مقاييس الحسن والقبح .. بين مقاييس الفضيلة والرذيلة .. بين مقاييس الحياء والتبجح ... بين احساس المسيحى اللبنانى والمسلم اللبنانى ، لا نكاد نفرق بين هذه المثل والموازين والقيم الخلقية ، أو بين احساسات العربى المسيحى والعربى غير المسيحى . واذن فقد كان الاسلام أكثر من دين ـ ان صح أن يوصف بذلك ـ كان مثلا انسانية نابعة من فطرة العرب .. جمع العرب على وحدة فيالمثل والقيم والموازين لم تزل في نفوس مسلمهم ومسيحيهم ، أكاد أقول : ويهوديهم ، الى اليوم ..

هذا العنصر في روما أو صقلية أو ولايات بروسيا ـ في فترة التكتل القومى ـ لم يكن ذا اثر واضح هناك ، فقد كان كل من الامم الاخرى التى كانوا يطلبون الانفصال عنها ليتجمعوا في وحدة ، يشاركونهم صفتهم في مثلهم ودينهم .. ومن اجل هذا لم يكن الدين عنصرا من عناصر القومية حين وصفوه في تلك البلاد ، ولكنه هنا عنصر .. والدين هنا ـ كما قلت ـ معناه المثل العربية التى

آمن بها كل العرب .. التى آمن بها أمية بن ابى الصلت قبل مبعث محمد ، بقدر ما آمن بها عمر بن الخطاب من بعـده . المثل العربية التى آمن بهـا متعبـدو الجاهليـة من متحـنفين وابراهيميـين ومسيحيين ، هى نفس المثل : كعبة ، أو قبلة يتجمعون حولها.. رمز تلتقى عنـده قلوبهم وتتجه اليه جميعـا وجوههم ، المسـلم واليهودى والوثنى والمسيحى ، كل يولى وجهه نحو هذه القبلة.. محور دائرة ، النقطة التى يدور حولها الشعب فى فلكه .

ورقة بن نوفل ، أمية بن أبى الصلت ، قس بن سـاعدة ، زهير بن أبى سلمى ، عنترة ، كل أصحاب محمد من بعد ، كانوا جميعـا على دين واحد ، قبل الاسـلام وبعـده ، لولا أن بعض المتعصبين للمسيحية من ربائب الاستعمار فى لبنان ذكروا — فى بعض ماكتبوا — من يسمونهم « شعراء النصرانية » لم يخطر ببال دارس عربى أن يسأل عن دين شاعر من أولئك الشـعراء . فأنا حين أذكر الاسلام كعنصر أصيل من عناصر العروبة ، من عناصر القومية العربية ، أراه يدخل فى تحديد مفهومها عندنا ولا يدخل دين فى تحديد قومية أخرى فى بلد آخر عند قوم آخرين — وأنا اذ اذكر الاسلام بهذه المكانة ، انما أعنى هذه المثل المشتركة التى تبعث من الفطرة العربية ، واشترك فيها وأحس بها وجعلها مقياسـا للشر والخـير كل عربى خـلال أربعـة عشر قـرنا مرت على وجـود الامة العربية ..

أستطيع أن أستبدل بكلمة « الاسلام » كلمة أخرى ، ان جاز أن يستبدل بكلمة الاسلام غيرها ، فاقول : يشتركون فى الفطرة.. فى موازين الخير والشر ، فى مقاييس الفضـيلة والرذيلة ، والحق والواجب ، والشعور الانسانى ، فى المثل القومية العالية ، والامثلة البشرية الدنيا ... ومجموع ذلك هو الدين ...

فهذا عنصر أول من عناصر قوميتنا العربية .

اللغـــة

وعنصر آخر ، هو هذا اللسان ..

واللسـان عنصر آخر أصيل وعريق جدا من آصـل عنـاصر القومية العربية وأعرقهـا . فاذا لاحظت أن اللسـان كان مرتبطا

بالدين دائما وباستمرار ، حتى من قبل الاسلام ، واذا عرفت أن ثروة العربى قبل الاسلام ، اي قبل أن تكون الامة العربية المجتمعة ، كانت هى اللسان ، وثمرات اللسان ــ عرفت قيمة هذا العنصر الفعال من عناصر القومية العربية .

أشياء قليلة جدا فى تاريخ العرب هى التى اتحدوا حولها قبل أن يكونوا أمة واحدة . مثل قليلة تلك التى اتحد حولها العرب بعد فرقة . . منها اللســان ، فقد كانوا قبل البعثة السنة شتى ، لهجات مختلفة ، فلمــا بدأت النهضة العربية قبل الاســلام ، كان من أول مظاهرها أن اتحدوا على لســان ولهجة من دون سائر الالســنة واللهجات . والامم التى تجمعها خصائص مشتركة لا تجتمع الا على أهم مايعنيها ، واللغة كانت أهم مايعنى العرب لانها وهى أمة متفـرقة ، وفى عصر فرقة وتنــابذ ، لم تتفق على شيء ، الا على اللسان العربى ، حين اجتمعت على لغة قريش .

يمكن أن يقال ان العــرب منذ اول عصــور نهضتهم قد كفروا بالدم ، بالعنصرية ، فقد كان من أول المبادىء التى آمنوا بها انه لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، أي بالمثل ، أي بالاجتماع على مقاييس الفضيلة والرذيلة ، فاذا اجتمعنــا على دين ولسان فنحن شعب واحد ، لا فضل لاحد فيه على أحد ، فلا الابوة ، ولا العنصرية ، ولا الماضى ، وانما هو الدين واللسان .

ولم يكد يبدأ عصر الفتوح حتى صار أهل الامم المفتوحة عربا مستعربين ، اتخذوا اللسان العربى لسانا ، واتخذوا دين العرب دينا طائعين مختارين بلا اكراه ولا قهر . .

شــهادة جنسية

وقد وضع العرب منذ أول عهدهم بالقومية حين جمعهم الاسلام أمــة ، قواعد عامة للاستعراب ، سموها « الولاء » ، فكل أعجمى دخل الاسلام وتكلم بالعربيــة التمس عربيا يواليه ، يقول انا ولاء فلان ، فقد استعرب . فكلمة مولى هذه فى التعبير الحاضر ــ مع شيء من التجاوز ــ يمكن أن تسمى شهادة جنسية ، أو شــهادة استعراب ، وبهذا القانون كان ابن سينا فى اصطلاح العــالم كله

عربيـــا ، وكان أبو نواس ، وكان ابن الرومى ، وكان الفــارابى ، وكان ابن جنى ... وكان صلاح الدين بن أيوب بن شاذى ....

فمن أول عهد العرب بالتوســع القومى ، بدأوا يعطون شــهادات جنسية ، هى شهادات الولاء ، وشــهادة الولاء هــذه هى التى حددت معنى الوطن العربى وجغرافينه ، وحددت معنى القوميه العربية التى تجمع كل قومى عبر القرون على صفة ...

قومى : هم الذين يؤمنون بمثلى ، ويتحدثون بلسانى ، ويوالوننى ، وكل أرض أقلتهم فهى وطنى ، وعلى هــذه القــاعدة تقــول : ان القومية العربية بريئة من العنصر ، بريئة من الدم ، لانهــا : مثل ولسان وولاء . وكل أرض يستوطنها أقوام تجتمع فيهم هــذه الصفات فهى وطنهم ، فوطن العرب حيث عاش هؤلاء العرب بما وصــفنا من عروبتهم ، عاربين أو مستعربين ، فهم جميعا عرب ، ووطنهم وطن العرب . وقد كان وطن العرب فى يوم من الايام يمتد من حدود الصين الى جبال البرانس ، ثم انحسر وطن العــرب حين اختفى صوت العرب من بعض المناطق بعد الغزو المغولى ، ومازال ينحسر بعد ، حتى تحددت حدوده منذ قرون ، فصارت جغرافيته تشمل الرقعة الممتدة من خليج العرب الى المحيط الاطلسى .

كانت شــبه جزيرة « ايبيريا » قرونا عدة ، جزءا من الوطن العربى لان لســان العــرب ودين العــرب والولاء للعرب كان من خصائص شعبها على اختلاف معتقــداته الدينية ، فلمــا خرس اللســان العربى هناك وصار الولاء للعــرب جريمة والايمان بالمثــل الانسانية العربيــة كفرا ــ انحسر وطن العرب عن شــبه جزيرة «ايبيريا» ، فهو اليوم اسبانيا والبرتغال ، لم يبق فيها من ذكريات الوطن العربى الا شواهد على قبور مكتوبة بالعربية .

هذه الحقيقة أحسها كل أعداء العرب على تعاقب القرون ، وان لم يحددوها تحديدا سياسيا بالالفاظ ، ولذلك كانت كل حركات الغزو ضد العرب دائما تبدأ بمحاولة محو اللسان والولاء والدين ، ليمخوا « القوم » بدأ هــذه السياســة فردينــاند وايزابلا فى الاندلس ، ولذلك حلق العــرب لســانا ودينا وولاء ، كما يحلق الشعر بالموسى .

والمغول انفسهم عرفوا هذه الحقيقة وحاولوا تطبيقها ليمحوا القومية العربيــة من آسيا ، فاجتثوها اجتثاثا ، حين لم يدعوا على شبر ارض من أواسط آسيا متحدثا باللســان العربى ، ولم تعد العروبة الى أواسط آسيا من يومئذ ، ولعل أعقابهم مايزالون حتى اليوم يفكرون فى الزحف على أطراف الامة العربية من هنالك.. من أذربيجان الى بغداد ، ولكن أهل بغداد يعون هــذه الحقيقــة قدر مايعيها أعداء قوميتهم ...

انا الآن لا أفعل شيئا الا أن أحاول ترجمــة أحاسيس فطرية حقيقية ، وتفسير ظواهر طبيعية متعاقبة عبر القرون ، الى حقائق استهدى بها فى تعريف منطقى لمعنى القومية العربية .

الترك ـ وكانوا يشاركوننا فى الدين بمعنى من معانيه ـ كانت اول طعناتهم القومية العربيــة ، محاولة تتريك العرب فى امبراطوريتهم التى ظنــوا أن يحتفظوا بهــا تركية خالصــة وكانت امبراطورية اسلامية . محاولة التتريك هــذه ، التى حاولوها وهم مسلمون تدل على شــعورهم بأن أول مايجب أن يعملوه ليمحوا قوميــة ، ليبيدوا شعبا بلا قتال ، ليهدموا كيان أمة ... أن يسكت لســان هذه الامة ، فكانت محاولة تتريك العرب فى امبراطوريتهم ، ليصيروا تركا فى أمة تركية ..

أنا لا ازعم بهذا اننى وصفت القومية العربية وصفا يستطيع ان يعتمد عليه عالم سياسى ، ولاأزعم اننى وضعت قاعدة لعلماء القوميات أو علماء التاريخ ، ولكنى ـ فقط ـ حاولت بقــدر ما استطعت ان أترجم احساسى الى لغة ، حددت بالوصف .. بالخصائص .. وغــدا لا بد ان تستكشف خصائص اخرى غير ما ذكرت .. لست احاول الآن الا ان اقــدم ما يحضرنى من البرهان على ان القوميــة العربية حقيقة واقعة ، لانها احساس ، ولان لها هذه العناصر الثلاث ، ولاننا لم نكد نسمع الهتاف بها حتى استيقظنا من نوم طويل ، كما يستيقظ كل نائم حين ينادى باسمه ، ولو تردد على سمعه اسماء كثيرة غير اسمه لما استيقظ لنداء ، فبراهينى براهين احساس لا براهين أهل علوم ومصطلحات ، ولعل يوما قريبا يأتى فيتيح لنا ان نحــددها التحديد العلمى .

يا عرب!

يحكى فى القصص القديم ان جمالا كان يحمل بضاعة لتاجر على طريق البادية .. فلما خلت بهما البيداء ، وثب الجمال على التاجر فقتله ، واحتاز بضاعته ، فتأثل من فقر . فلما دخل المدينة دون صاحبه ، قال أهل التاجر : عند هذا ثأرنا . انه جماله وقد عاد دونه بمال لا يحتازه مثله ، فمن يكون قاتله غيره ؟ ورفعوا امره الى القاضى وليس فى يدهم برهان على دعواهم الا احساس القلب ، ولكن احساس القلب لا يكفى وحده للحكم على قاتل .

وانكر الجمال ماضيه ، فزعم انه لم يكن جمالا فى يوم ما ، وتلبث القاضى فى رأيه . وصبر برهة ، وطال سكوته ، حتى كاد الصاحى ان يغفى ، ثم هتف فجأة : يا جمال ! فالتفت اليه الرجل ، فقال : خذوه بدم القتيل !

هذه اليقظة المباغتة على النداء باسم او صفة لا سبيل الى نكرانها . فقد ردت مدعى المال والجاه الى اعمق اعماق احساسه ، فاستجاب لدعوة « يا جمال » بعد جمود وانكار . هى دليل لا يرد ، دليل نفسى احساس صادق يعبر عن حقيقة تستبطنها النفس بلا وعى ، فلا تملك الا ان تستجيب للنداء اذا هتف الهاتف على غفلة ، كل مستجيب على غفلة لمثل ذلك النداء فهو ذو صفة المنادى ..

وعلى مثل هذا النداء كانت يقظة الامة العربية حين بغتها هتاف الصائح : يا عرب !

امة فى غفلة دامت قرونا ، ثم هتف هاتف بلا تدبير ولا مؤامرة : يا عرب ! فاستيقظت الامة جميعا ، هب النوام واقفين على اقدامهم يقولون : لبيك ! انهم العرب ، جمعتهم صفة والفت بينهم وحدة قومية ، هذه اليقظة برهانها . لا تسألونى عن مفاهيم هذه القومية واسألوني عن مدى احساسى بها . انا احسها ، وكل فرد فى هذه الامة العربية يحسها .. ارجو ان يهيىء الله لهؤلاء الذين يسألون عن مفاهيمها من يستطيع ان يترجم لهم هذه الاحاسيس الى لغة ، ومنطق ، وحد علمى يعرفون به معنى القومية العربية .

ان جهلنا بمعنى القومية العربية لا ينفى وجود القومية العربية ،

ولا يمنعنا ان نقول بصراحة ونشير بوضوح حسي كامل : هـذه هى القومية العربية ..

الضوء شيء تراه عيوننا ، تحدده بحدوده ، ولكننا لو اردنا ان نصفه لما استطعنا ان نقول الا : هذا هو الضوء .. وبهذا المفهوم نقول : هذه هى القومية العربية .

القومية جامعة

فى اواخر القرن الخامس الهجرى ، والامة العربية توشك ان تتفتت وتنهار ، جاء صلاح الدين . هو صلاح الدين بن أيوب بن شاذى التكريتى ، كردى ، تنتسب أبوته الى عنصر متميز بخصائصه . او كانت العروبة دما وعنصرا وابوة ، لما استطاع قائل ان يقول ان صلاح الدين عربى ..

صلاح الدين هذا ، الذى ولد فى تكريت ، من قبيلة كردية معنعنة النسب ، كان هو زعيم الامة العربيـة ، ومخلصها فى ذلك التـاريخ البعيـد .

هاجر صلاح الدين مع ابيه من تكريت الى حلب ، الى دمشق ، الى القاهرة ، ومشى سفراؤه على ارض ليبيا وتونس الى بلاد المغرب ،

لو سـألت اى مؤرخ اوربى من الذين ارخوا عهـد صلاح الدين والصليبيين وقلت له : اذكر لى زعماء العرب فى عهد الغزو الصليبى ،

لكان اول من يذكر : صلاح الدين ــ فهو عربى من هذه الامة ــ عربى على لسـان مؤرخى اوربا ومؤرخى الصليبيين ومؤرخى العـرب ومؤرخى الاسلام ، وهو يوسف بن أيوب بن شاذى التكريتى الكردى النسب .

لم يخطر ببال احد قط ان يقول ان صلاح الدين غير عربى ، وابوه من تكريت وجده مما وراء النهر . هذه الشخصية وحدها تكشف بكل وضوح عن معنى كلمة عربى ومدلولها على امتداد التاريخ العربى ..

وصلاح الدين كما قالوا .. عربى ، لان لسانه عربى ، ودينه عربى ، وكان كل ولائه للامة العربية ، وان كانت أبوته كردية معنعنة .

والشعوبية التى بدأت فى القرن الثانى الهجرى فجعلت اعجميـا

فارسيا يحاول ان يعالج مركب نقص يحسه في نفسه لانه نضو هزيمة فيقول : أنا ابن الذين .. وجعلت عربيا يدفع عن جنسه فيقول : ونحن الذين ..

هذه الشعوبية التى غذتها فى الماضي البعيد دسائس يهودية لتفرق أمة متحدة ، لم تقف منذ بدأت ، وظلت المفاخرات والمنابذات متصلة على توالى القرون منذ القرن الثانى حتى بلغت أقصاها فى عصر صلاح الدين .

ومن وحى هذه الشعوبية كانت محاولة مؤرخين ثقات اثباتا يحاولون ليضيفوا مجدا الى مجد صلاح الدين ، فزعموا انه عربى النسب ، بقدر ما هو عربى القومية ، ولكى يؤكدوا هذا الزعم قالوا :

ان الكرد اصلهم عرب .. قبائل عربية ، هاجرت الى الموصل ، واقامت واستقرت ، وتغير لسانها ، وصار لها خصائص قومية . دعوى ظاهرة البطلان ولا حاجة الينا بها ، فصلاح الدين عربى برغم أبوته فى الكرد ،

وكما قال هؤلاء المؤرخون عن الكرد قال غيرهم عن العجم ، وكذلك قيل عن الديلم ، قالوا ان هؤلاء واولئك كانوا فى الاصل قبائل عربية .

هذه الدعوى المغرقة فى الهزل ، تدل دلالة صريحة ، لا على أن العربى أعظم شأنا من الاعجمى ، أو من الديلمى ، أو من الكردى ، وانما تدل على احساس باطن بأن صفة ما تنتظم هذه الجماعات كلها على اختلاف انسابها وابوتها ، فلما ارادوا أن يترجموا هذا الاحساس لم يجدوا فى طاقتهم الا ان يقولوا ان أباهم كان فى الاصل واحدا ، ثم تفرقوا بطونا ، فهى غفلة تاريخية نابعة عن احساس مشترك بأن شيئا ما يجمعهم لم يستطيعوا ان يعرفوه ، لو شاءوا لقالوا غير متكلفين ، أن هذا الشيء الذى يجمعهم هو القومية العربية ، القومية العربية التى جمعت العربى العارب والعربى المستعرب على لسان ودين وولاء ، فهم جميعا على صفة واحدة تتبلور كلها فى كلمة القومية العربية .

* * *

وللاستاذ محمد سعيد العريان جولات سياحية في كثير من البلاد العربية وغير العربية ، فسألناه عن ذكرياته القومية التى ترتبط ببعض هذه الجولات فقال :

في طشقند

في سنة ١٩٥٦ ، كان اول خاطر وقر في نفسي عندما وطئت قدماى سلم الطائرة التى استقلها الى طشقند ، انى ساءلت نفسي : ماذا كانت طشقند قبل اليوم ؟ وأين ذكرها فى كتب التاريخ العربى ؟ وتحت أى اسم كانت هذه البلاد ؟ وماذا قال تاريخ العرب عنها ، وأنا أزعم انى قرأت كل ما كتب عن تاريخ المسلمين والعرب ؟ ولكن كل ما خطر فى بالى وقتئذ انها جزء من بلاد ما وراء النهر . فاخذت استعرض كل ما أذكر من اسماء هذه البلاد ، أبحث عن كلمة ترشدنى الى الجغرافيا التاريخية لطشقند ، فلم اجد ..

اعرف ان طشقند عاصمة جمهورية ازبكستان . واعرف ان « ستان » معناها بالفارسية : بلد ، او مدينة .. فماذا يكون معنى : ازبكستان ؟ ما معنى مدينة ازبك ؟ ومن يكون أزبك ؟ وذكرت اسما فى تاريخ القرن السابع الهجرى ، كان فى منطقة قريبة من تلك المنطقة ، أمير اسمه : « ازبك البهلوان » كان يعيش فى بلاد اسمها بلاد المراغة ، بالقرب من اذربيجان ، فى المنطقة التى وطئتها خيل المغول وجيوش جلال الدين بن خوارزم شاه .. وكان لهذا الامير عكوف على ملذاته ، فلما رأى المد المغولى زاحفا نحوه ، استسلم للمغول ، ومشى فى جيشهم ، فتأمرت زوجته على البلاد ، وطلبت الى الفقهاء ان يطلقوها منه ، فطلقوها ، وتزوجت جلال الدين بن خوارزم شاه ، وخاضت معه الغمرات حتى ماتت ..

أيكون ازبك البهلوان هذا هو صاحب طشقند وازبكستان ؟

وخلال الساعات التى كنت احلق فيها من موسكو الى طشقند ــ وهى بضع عشرة ساعة ــ ظللت اسأل نفسي واستحضر كل مايخطر على بالى من اسماء الاعلام التى مرت على فلا اجد شيئا عن طشقند حتى وصلت الى طشقند .

واستقبلني عند المطار مع زملائي رئيس واعضاء اتحاد الادباء في جمهورية ازبكستان ، وتقدم نحوي وقد هبطنا على ارض المطار في الظلام ، السيد « عظيموف » رئيس الاتحاد ، ليكون مرافقا لي . واسم « عظيموف » عربي فيما يبدو ، ولكنه ينتهي بعلامة المذهب الروسية ، فكان اسمه اول سبب للحديث بيننا عن العرب والعروبة والاسلام وما يتصل بها ..

وتلاحقت اسئلتي عليه ، فقلت له : ماذا كان اسم بلادكم طشقند في التاريخ القديم ؟

ولم اجد جوابا . ولكنني تذكرت في تلك اللحظة ان « قند » بمعنى بلد ، ومن مركباتها قندهار ، وسمرقند ، وغيرهما .. فان كان هذا اشتقاقها فهي أشبه بأن تكون « بلد طاش » او « بلاد طاش » .. فهي اذن « بلاد الشاش » كما يذكرها المؤرخون العرب القدماء . وايقنت بذلك حين عرفت من مرافقي السيد عظيموف ان من مشاهد المدينة قبر أبو بكر الشاشي القفال ، صاحب الرأي ..

وصلينا الجمعة بعد يومين في جامع طشقند ، واقترحت بعد جلسة ممتعة مع شيخ المسلمين هناك زيارة قبر ابي بكر القفال الشاشي . واخترقت الطريق اليه من بيت الشيخ ، فاذا سوق في الطريق يشبه أسواقا في القرى المصرية ، وكان فيه قفالون ــ لم يزالوا ــ يبيعون الاقفال والمفاتيح ، وكان في آخر سوق القفالين مقبرة أبو بكر « القفال » وعرفت من اين كان لقب القفال في اسم الشيخ ..

واحسست معاني جديدة للعروبة ، عروبة الارض .. وعروبة سكان الارض ، في ضوء احداث التاريخ ..

وعرفت طشقند وذكرت كلّ تاريخها في تلك اللحظة ..

أخو النبي

ومن بلاد ازبكستان زرت سمرقند ، وتذكرت « قتيبة بن مسلم » وقادة آخرين كان لهم خطى على ذلك الطريق ، وذكرت تيمور لنك ..

وكان يرافقنا في زيارتها مدير الآثار ، واراني بعض آيات من القرآن منقوشة على أثر ، أكل الدهر بعض حروفها ولم يستطع مدير الآثار ان

بكملها وعجز عن ترميمها ، واكملت له من حفظي الآية المكتوبة . فاسرع برسم حروفها رسما كما كتبتها له بالعربيـة ، ووعدني بأن يثبت اسمي في دليل الآثار الى جانب هذا الاكتشاف العلمي الجليل !

ثم قال لي : هنا في سمرقند ، قبر اخ النبي محمد .

قلت منكرا : لم يكن للنبي محمد اخ وليس له في البشرية كلها اخ !

قال : بل ان اخا محمد مدفون هنا ، تعال لتقرأ اسمه على قبره .

ومشينا بين انقاض المساجد والمدارس النائمة على طبيعتها منذ عهد تيمور لنك ومن قبله ، حتى وصلنا الى قبر ، على طراز بعض الاضرحة في بلادنا .

وقال لي : اقرأ

فقرأت : قبر قثم بن العباس بن عبد المطلب (*)

وقثم بن العباس ، ابن عم النبي ، كان في جيش قتيبة منذ فتح هذه البلاد ، ومات في الغزو ودفن ثمة . وقرأت الفاتحة على قبر ابن عم النبي في بلد لا يكاد يقرأ فيه احد الفاتحة .

واحسست للعروبة معنى آخر .. احسست ان هذه الارض ، وهذا الرفات على هذه الارض جزء من وطن عربي ، وسيظل مثوى هذه الرفات جزءا من وطن عربي ما دام فيه هذا الرفات .

بخـارى العربية

وطلبت زيارة بخارى ـ وهي على بعـــد ساعتين بالطائرة من « سمر قند » ووعدنا بزيارة بخارى ، ولكن لم يوف لنا بوعد . ثم عرفت السبب .. عرفت ان المسئولين هناك يحرصون على الا يزور الاجانب ـ وخاصة المسلمين ـ بخارى لانها من البلاد التي قاومت الغزو السوفييتي ، وتقبلت كل انواع الاذى بسبب ذلك ، فحوصرت وتركت على ما كانت لم يشملها تقدم ولا رخاء ولا نظام ، وجمدت على وضع معين .. فيها المساجد وفيها المصلون وفيها معهد ديني يعلم الاسلام وفيها الفقهاء والكتاتيب والعمائم وفيها التأخر الذي تتوقع ان تراه في كل بلد ضرب عليه الحصار اربعين سنة !

عرفت هذه المعلومات عنهـا دون ان اراها .. من الذين رأوها وقبلوا ان يتحدثوا الى بحرية وصراحة .. وقلت فى نفسى هامسا : هنا ، فى قلب الاتحاد السوفييتى ، لم يزل عرب وعروبة !

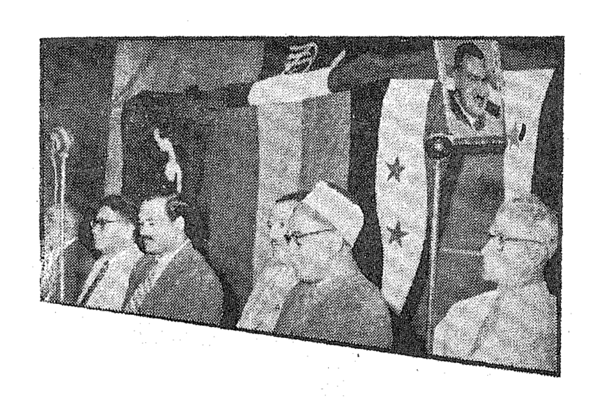
وعرفت الى ذلك ، ان بين تركستان وازبكستان فى المناطق الجبلية التى لا يسلكها سالك الا على مشقة ، قبائلَ عربية اللسان والدين حتى اليوم ، لانها لم تختلط بأحد من ترك اواسط آسيا فاحتفظت بلسانها ودينها ، وبلون من القومية العربية ! لان الاتحاد السوفييتى لم يستطع ان يفرض عليها لسانا غير لسانها ولا دينا غير دينها ، فأيقنت يقينا متجددا : ان القومية ، لسان ، ودين ، وولاء !



ندوة

حماية الشباب

بالزبداني



قدم الاستاذ محمد سعيد العريان
للنـــدوة بهذه الكلمة الموجزة

ايتها السيدات والسادة :

ايها الشباب :

قبل ان نبدأ ندوتنا هذه المباركة ، نقف حدادا وتحيـــة لارواح شهدائنا المكافحين الذين سقطوا ـ وما زالوا فى الميدان يتساقطون ـ فى سبيل الحرية ، والقومية العربية .

• • • • • • • •

• • • • • • • •

من أيام الشـــباب

أيها الشباب :

هذا يوم من أيامـكم ، تلتقون فيه بقادتكم ، لتسـتمعوا اليهم ، وتحدثوهم . وما احوجكم الى أن تستمعوا .. وان تتحـدثوا وان تتلقوا عن قادتكم خلاصة تجاريبهم وآرائهم ، ليكون لكم من تجاربهم وآرائهم هاديا مرشدا ، ومن نظرياتهم معالم تقودكم ، لتصلوا بأمتكم الى غايتكم ، وتزيلوا ما تبقى من معاقل الاستعمار فى وطننـا العربى الابى .

والآن يبدأ الندوة السيد الاستاذ كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة .



كلمة السيد كمال الدين حسين
وزير التربية والتعليم

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات السيدات والسادة :

أيها الشباب :

ان قوميتنا العربية اصبحت بعون الله حقيقة واقعة . اعترف بها العدو ، وسعد بها الحبيب ، وشقت طريقها الى المجد والعزة والكرامة ، وانها لسائرة فى هذا الطريق بدون توقف باذن الله .

موضوع النـدوة

ولذلك لم يكن من الطبيعى ان يكون موضوع ندوة الليلة ــ وسط هذا الجمع الحاشد من ابناء العرب وشبابه ــ لم يكن من الطبيعى ان يكون موضوع الندوة موضوعا آخر غير القومية العربية .

وما احوجنا نحن الآن فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ حياتنا ، ومن تاريخ القومية العربية ، ان نتحدث معا فى هذا الموضوع الحيوى

الهام . الذى سيتناوله بالحـديث فى هذه الليلة عرب محلصـون ، وقادة موجهون .

ويهمنا ان تناقشوهم ، وان تتحدثوا معهم ، وان تبدوا رأيكم فى صراحة ووضوح ، لكى نأخذ منكم ، ونعطى لكم . فأنتم أولوا رأى ، وذوو ادراك . وعندكم من طاقات الشباب ووعيه ، وشعوره وقوته ، ما يؤهلكم الى ان ترسموا لانفسكم طريقا ، وتنهجوا منهجا تستقر عليه الآراء ، بعد مناقشة ومشاورة .

الى الإمام

هذه الندوات بدأناها فى القاهرة منذ اشهر ، نريد بها ان يختط الشباب لنفسه بنفسه طريقا يسير فيه . وان يدفع الشباب نفسه فى هذا الطريق غير متأثر بأى عامل من العوامل التى تحاول جاهدة ان تجرف شبابنا ، وان تحول مستقبل هذه الامة ، فى تيارات اخرى غير التيارات الحقيقية التى تنبعث من جذور نفوسنا ، وتنبع من اعماق تاريخنا وتقاليدنا .

هنالك تيارات تريد ان تنال من شبابنا ، وتريد ان تدفع هذه الامة الى غير الطريق الذى قدر الله لها ان تسير فيه .

وبمشيئة الله سوف تكون هذه الندوة وامثالها من الندوات التى ستقام فى كل مكان ، بمثابة تجميع رأى عام للشباب ليقود نفسـه بنفسه ، ويسير قدما الى الامام .. الى عزة الوطن العربى . . الى مجده ، ورفاهيته .





بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله تبارك وتعالى ، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد النبى العربى ، وعلى سائر اخوانه من الانبياء والمرسلين . عليهم جميعا افضل الصلاة والسلام .

شكر

ايها الاخوة ..

وايتها الاخوات من ابناء وبنات الامة العربية المجيدة !

من الحق فيما ارى ان استسمحكم فى ان اقدم اخلص الشكر لأخى السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم ، على أن هيأ لنا هذه الفرصة الطيبة ، نتحدث فيها الى الامة العربية مجتمعة فى فتيانها وفتياتها ، وقود الثورة وحماة الاصلاح ، والحديث الى الشباب حديث مصلحة ومتعة معا ـ وما اقل أن تجتمع المصلحة والمتعة فى آن واحد . فاما انه مصلحة فلأن الشباب ابدا هم حملة كل فكرة ، ووقود كل ثورة ، وحماة كل اصلاح ، والحديث اليهم من الذين جربوا من الحياة اكثر منهم حديث ينفعهم وينفع بلادهم معا . واما ان الحديث اليهم لذة ومتعة فلأن شبابنا فى هذه الايام شباب

عاقل واع مثقف . وقديما قال العربى الاول وقد تقدمت به السن وشاخ حتى فقد او كاد يفقد لذائذ الحياة : « لقد ذهبت كل متع الدنيا وغابت كل لذائذ الحيـاة ، ولم يبق من هـذه اللذائذ الا لذة واحدة ، هى لذة محادثة ذوى العقول » . فبهذين الامرين : ارتباط المتعة النفسية وابتغاء المصلحة الوطنية ، وقد حققهما مشكورا أخى السيد كمال الدين حسين ، استسمحتكم ، واستسمحكم مرة أخرى فى ان اقدم له خالص الشكر وعظيم الاحترام .

ثورة الشباب ووقار الشيوخ

والشباب من حقه علينا ــ فيما اعتقد ــ ان نتحدث اليه حديثا هادئا اكثر مما هو صاخب ، ومقنعا اكثر مما هو مثير ، لان الشباب طبيعته ثورة ، ومن حق كل ثورة ان تجد لها ما يعصمها من الجموح دائما ، وبذلك كان من خير الشباب ، أو من خير ثورة الشباب ان تقترن دائما بوقار الشيوخ ونصح الشيوخ ، وعندئذ ، وبهذين الامرين : ثورة الشباب ووقار الشيوخ ، يكون التقدم ميسرا ، وتكون النتائج مضمونة . ولذلك سوف يكون حديثى الى الشباب حديثا هادئا غير مثير ، ولكنه حديث نستمده من ماضينا ، وحاضرنا ، ومستقبلنا ، فى ظل من هذا الماضى الواعظ ، وهذا الحاضر المتوثب .

ان قوميتنا العربية لها تاريخ طويل ، وماض بعيد ، من حقه علينا ان نقرأه . وان ندرسه ، ولها كذلك ماض قريب ، لا يزال فى اذهاننا ، والحوادث كل يوم تجدد هذا الماضى القريب .

تجارب المـاضى وأمل الحاضر

وكل فكرة اصلاحية جامعة يراد لها ان تنجح ، لا بد للذين يعملون لها ، ويسعدون بالعمل لها ، ويريدون النجاح عن طريق هذا العمل ، لا بد لهم ان ينظروا الى الماضى وان ينظروا الى الحاضر يتأملون فيه وان ينظروا الى المستقبل . ينظرون الى الماضى ليتعظوا من احداثه ، ويعتبروا من تجـاربه ، والذين لا ماضى لهم لا يمكن ان يكون لهم حاضر يعتد به ، فالنظرة الى الماضى سوف تعطينا العبرة والعظة .

وننظر الى الحاضر لنصحح ما يكون فيه من خطأ ، ونقر ما فيه من صواب ، ونأخذ انفسنا بالعمل على قدر ايماننا به ، بل نحاول ان نحمل أنفسنا على الايمان به على قدر ما نقتنع بجديته ومصلحتـــه ومنفعته .

((مستقبلنا . . . بين ماضينا وحاضرنا))

ونظرة ثالثة الى المستقبل ، فالمستقبل وليد هذين الامرين ، وليد الماضى الواعظ والحاضر الواثق ، فاذا كان ماضينا واعظا ، وحاضرنا واثقا ، اتعظنا ووثقنا . فلا بد ان نصل الى المستقبل الذى نرجوه ، وترجوه لنا قوميتنا العربية .

ونكاد نسمع هتاف ارواح شهدائنا يهتفون بنا الى هذا المستقبل حتى لا تذهب دماؤهم عبثا وحتى لا تذهب تضحياتهم سدى .

هـــذه القومية

ما أعرف مبدأ تلاعبت به الأهواء ، كما أعرف القومية العربية ، وقد تلاعبت بها الاهواء احيانا ، وقضى الله لها آخر الامر بأن تصـــل الى الغاية التى كان يرجوها لها اصدق الصادقين واخلص المخلصين .

فى تاريخنا القريب ، يوم كان الاتراك يهيمنون على مصائر امورنا ، ويتحكمون فى شئوننا ، نزعت بنا نوازع كثيرة الى قومية عربيـــة تجنبنا من هول الحكم الظالم وتدفع بنا الى حياة مستقرة سعيدة . وتمشت هذه القومية العربية فى اعصابنا . فى اعصاب آبائنا واجدادنا يوم كانوا شبابا مثلكم . كافحوا من اجلها ودرسوا اصولها ، وهاجروا فى سبيلها واحتملوا الوان الضيم والاذى اجمل ما يكون المحتمل احتمالا واقوى ما يكون المؤمن ايمانا .

وكان الاستعمار الذى يتربص بالامة العربية منذ استطاعت هذه الامة ان تبرز الى الوجود وان تقدم له حضارة كريمة ومدنية فاضلة وانسانية شاملة ، كان الاستعمار يتربص دائما بكل المعانى القوية التى يخشاها لكى يقتلها او لكى يوجهها الوجهة التى لا تضر الاستعمار ولا تؤذيه .

دمى الاســـتعمار

ورأى الاستعمار ان القومية العربية فكرة اصيلة تبعث فى الدم العربى ، وفكرة مستساغة لها ما يؤيد وجودها ولها ما يؤيد كيانها . ومن طبيعة الاستعمار دائما حين يشفق على نفسه من معنى من المعانى يرى أن يوشك ان يستيقظ ، من طبيعة الاستعمار ان يركز هذا المعنى دائما فى شخص او اشــخاص ، حتى يطمئن الى انه قادر على ان يمسك بزمام هذا الشخص ، او بأزمة هؤلاء الاشخاص ، لكى يصرفهم حسبما يشاء ، كيفما يشاء ، أنى شاء ، متى شاء . وذلك ما حدث ، فانه بعد ان استغلظ عود القومية العربية فى انفس الذين كانوا يؤمنون بها ويدعون اليهـــا ، وكادت تركيا تستجيب لهؤلاء الذين يؤمنون بقوميتهم العربية . بدأت الحرب العـــالمية الاولى تنشب ، وبدأت الافـــكار الاستعمارية تبحث عن شخص تركز فيه المعنى العربى . تسهل قيادته فيسهل استغلاله . اذا كان لا بد من الاستغلال ومن القيادة ومن الاستذلال . وكان من سوء الحظ ــ وهذا تاريخنا ، لا اتشفى فيه من احد ، ولا اتجنى فيه على احد ــ كان من ســـوء الحظ ان يكون الشريف حسين والى مكة يومئذ هو الرجل المؤمل من العرب ، كانوا يؤملون فيه لعـــدة اعتبارات وكان تأميلهم امرا طبيعيا ، فليس فى الميزان الحق شيء يوزن بحذر ودقة وباطمئنان كما يوزن هذا المعنى ، ان يقود القومية العربية رجل هو فى رأى الناس من صميم العرب بل من صميم بيت النبوة . واتجهت اليه الانظار لأ كل الدعاة الى القومية العربية يتجهون بأبصارهم هذا المتجه .

اســـتعمار

والاستعمار دائما خبيث . يعمل لآماد بعيدة . الاستعمار فى اى بلد من البلاد يرى عواطف ثائرة .. الشباب يوشك ان يثور . ثورة توشك ان تنقض . يحاول الاستعمار دائما أن يربط هـــذه الثورة بشخص او بأشخاص ، حدث هذا فى تاريخنا .. حدث فى مصر .

وحدث فى تونس . وحدث فى مراكش . وحدث فى العراق . وحدث فى كل شعب عربى ، وحدث ايضا فى كل شعب غير عربى ، لان اسلوب الاستعمار واحد ، ولان طريقة الاستعمار طريقة واحدة . وكان ذلك ، واجتمع العرب ، وهذا بذاته امر غريب ، أين اجتمعوا ؟ وكيف اجتمعوا ؟ ولماذا اجتمعوا ؟ . اجتمعوا تحت الرايات البريطانية الفرنسية اليهودية ، ولماذا اجتمعوا ؟ لانهم يريدون ان يحرروا اوطانهم وان يحرروا نفوسهم ، فماذا كانت النتيجة ؟ كانت النتيجة ما نعلمه نحن جميعا : ان القومية العربية بدل ان تعود لتكون شيئا له كيان قائم بذاته . عادت لتجد نفسها نهبا للناس واضحوكة للضاحك وسخرية للساخر ، واخيرا استغلالا للمستغل فاستعمرت العراق ، واستعمرت سوريا ، وضاعت فلسطين ، واستعمرت الاردن ، وثبت استعمار مصر ، وضرب بيد من حديد على تونس وعلى مراكش ، وخيم الظلام الى الابد — فى رأى المستعمرين — على الجزائر ، وضاع السودان ضياعا كاملا .

استعمار نفسى وفكرى

ولم يبق الا ان يقضى المستعمرون بحسب زعمهم على القومية العربية فى نفوس اهلها بعد أن قضوا على بلاد اهليها . فنشبت بعد ذلك معارك خطيرة فى الثقافة وفى اثارة العنصريات بعد ان اطمأن المستعمرون الى ان هذه البلاد اصبحت فى قبضتهم فعلا ؛ ثم يعلمون حقيقة اخرى نحن نعلمها ، هى ان القوة العسكرية بالغة ما بلغت قدرتها لا يمكن ان تظل الى الابد تحكم شعبا وتسيطر على وطنه ولا بد للقوة العسكرية يوما ما ان تزول ؛ ومن هنا كان على الاستعمار بحسب حسبانه هو ان يعمل فى ظل الاستعمار العسكرى على لون آخر اخطر واضخم من الاستعمار العسكرى ؛ وهو الاستعمار النفسى والاستعمار الفكرى . هنالك بدأوا ينشئون اجيالا من ابناء الامة العربية يدافعون عن بقاء المستعمر باشد واحر مما تدافع عساكر الاستعمار من معنى الاستعمار .

أوكار الاستعمار

وجدت كلية فكتوريا فى القاهرة ووجدت كليات كثيرة اجنبية اخرجت لنا اجيالا من الناس كانت أغير على المستعمرين منهم على ابناء وطنهم ، وانا لا اريد ان اقرر ان كل من خرج من كلية فيكتوريا او من كلية اجنبية هو خائن لوطنه ، معاذ الله . فان النفوس معادن قد تصلب احيانا امام اشد الاحداث خطرا ، فقد خرج من هذه الكليات ومن هذه المدارس الاجنبية فئة من الناس ــ انا اعرف بعضهم ــ كانوا من اصدق الناس ايمانا ببلادهم ، ومن اشد الناس غيرة على وطنهم . غير ان الشأن هو هذا . وقصد المستعمرين من اقامة هذه المعانى ، معانى الغزو النفسى ، قصدهم هو هذا ايضا ، فأنشأوا هذه المدارس وهذه الملاجىء وحاولوا ان يمسخوا بهذا معانينا العربية ، واول شيء تعرض لهذا المسخ من الناحية النظرية ، فقط لغتنا العربية ، فوجدنا من يحاول دائما ان يصادم اللغة العربية وان يدعو الى اللغة العامية كأصل من أصول حضارتنا بدافع أو بآخر ، كل هذه المعانى منشؤها فى حقيقة الامر هو الاستعمار . منشؤها الدعوة الاستعمارية التى تريد للقومية العربية ان تذوب فى ظل الاستعمار العسكرى ، حتى اذا قدر للجيوش الغازية المستقرة يوما ما ان تزول ، زالت وقد خلفت مكانها جيوشا اخرى اشد خطرا واقوى أثرا من الجيوش العسكرية التى كانت تحتل البلاد .

الى جانب ذلك حاولوا ان يثيروا العنصريات فأقاموا فى مصر مثلا مدرسة ضخمة تدعو الى الفرعونية ، حتى ان بعضهم كان يفكر فى ان يحيى اللغة الفرعونية ذاتها ، وحاولوا ان يقسموا البلد عندنا الى قسمين : قسم هو من اصل فرعونى ، وقسم آخر هو من اصل عربى .

اسس القومية العربية

غير اننا عند التحقيق نحن لا نقصد ابدا بالعروبة عروبة الدم ، فان عروبة الدم فيها شك كبير ويدور حولها جدل كثير ، ولكننا نعنى

بالقومية العربية هذا المعنى : « كل من عاش بيننا واحترم مثلنا وتكلم لغتنا وصان حريتنا ومصالحنا فهو منا ونحن منه . وكلّ من تنكر لهذه المعانى فنحن ابرياء منه وهو برىء منا » . فلا فرعونية الدم ولا آشورية الدم ولا رومانية الدم ولا بربرية الدم فى المغرب ولا زنجية الدم فى السودان ولا شىء من هذا على الاطلاق يمكن ان يوزن فى ميزان القومية العربية .

وانما الوزن الحقيقى للقومية العربية ، اللغة والعادات والتقاليد والمشاعر والاحاسيس والمصالح المشتركة ، فاذا تجمعت هذه المعانى فهنا القومية العربية ، واذا زالت هذه المعانى فليست هنا قومية عربية وان عاش اهلها فى صميم البلاد العربية فى الحجاز او فى العراق او فى سورية او فى مصر .

عنصرية وتفرقة

هذا المعنى كان كفيلا ان يقضى على افتيات اولئك الذين كانوا يدعون الى التفرقة ولكنهم كانوا فعلا يصرون على ان يدعو الى هذه التفرقة ويصرون على ان يوجدوا هذه العنصريات . واخيرا العنصرية الاخيرة التى حاولوا ان يوجدوها فى بلادنا ، هى ان يقيموا بيننا اسرائيل فيتناقضون مع انفسهم ولكن المستعمرين دائما لا يبالون بالتناقض مع انفسهم ، انهم يقيمون دولة اسرائيل وهم يعلمون مدى ما عليه اسرائيل من عنصرية ، وقد اقاموا الحرب العالمية الثانية ، وقاموا وقعدوا ، وحاولوا ان يستصرخوا المثل العليا ، وان يبقوا على المساواة والانسانية بين الناس . لماذا دخلت جيوش امريكا وتحركت جيوش اوربا ، لقتل هتلر ولوأد الحركة النازية ، كنا نسمع من ابواق الاستعمار سواء أكانوا من اهل الصحافة او من أهل التأليف أو من أهل النوادى من يقول بأن اخطر شىء هو وجود العنصرية الجنسية فى دنيا الناس ، وهتلر رجل يقول ان المانيا فوق الجميع وان الدم الجرمانى اطهر دم يجرى فى عرق أى انسان . فلو قدر لمثل هذه

الدعوة ان تنتصر لزالت القيم العليا والمثل الانسانية للانسان ، ومن اجل هذا دخل الحلفاء الحرب ضـد هتلر وقصدهم الاسـاسى ان يقضوا على النازية وان يقضوا على هتلر ليتسنى لهم ان يقضوا على هذه الدعوة التى هى ابعد ما تكون عن المعنى الانسانى .

بهذا المعنى تحركت جيوش الحلفاء ، وبهذا المعنى انتصر الحلفاء وبشىء من هذا المعنى وجد فى اقوامنا من يميل اليهم ومن يجد حجة يحتج بها على انه يظاهر الانجليز والفرنسيين فى حربهم ضد المانيا الهتلرية النازية . وبعد ان انتصروا جاءوا يقيمون دولة اسرائيل .. نفس المعانى التى حاربوا من اجلها هتلر هى نفسها التى يقيمون عليها دولة اسرائيل . ان المعنى العنصرى الذى كان يتحدث عنه دائما هتلر فيقول : « المانيا فوق الجميع ــ والدم الجرمانى اطهر الدماء » هو نفس المعنى الذى يتنادى به اليهود . بل ان هتلر لينادى بهذا المعنى نداء مدنيا ليست له قداسة ، ولكن اليهود يتنادون بهذا المعنى تناديا دينيا له قداسة كاملة فهى دولة تقوم باسم الدين وعنصريتها تقوم على معنى الدين ، وقد اضطهدت مليونا من العرب وطردتهم من أرضهم وعرضتهم للبرد وللموت وللقتل وللمهانة ، ومع ذلك هذه المعانى حين وجدت فى اوربا تحركت جيوش الحلفاء لتقضى عليها ، وحين وجدت فى بلادنا نحن العرب تحركت جيوش الحلفاء لتستبقيها وتحميها .

ليس هناك علة واحدة الا ان القومية العربية خطر على الاستعمار . فالاستعمار يرى الحق بعيدا عن القومية العربية ، فاذا كان هذا الحق فى ظل من القومية العربية فالحق باطل والباطل حق ، والشر خير والخير شر حتى يبلغوا ما يريدون من قهر القومية العربية واحتلال الدول العربية وقتل نفوس الامة العربية .

معـــانى القومية

هذه المعانى هى التى يجمل بنا ايها الشباب ان نفقهها وان ندرسها وان نتأملها وهى معانى مجملة تحـاولون ان تفصلوها لأنفسكم لاننا محتاجون اشد الاحتياج الى ان نتأمل وان قوميتنا العربية واضحة

غاية غاية الوضوح . نحن لسنا عنصرية تستطيل او نستعلى على الناس . نحن لا نقول ان دمنا اطهر الدماء ونحن لا نقول اننا نشتق من دم ، انما نقول هذا القول الواضح الصريح : « من تحدث بلساننا واحترم مقاييسنا وآمن بحريتنا فهو منا ونحن منه » ، وهذا المعنى معنى واسع ومعنى كريم . قوميتنا العربية قومية تنشد التخفيف من الفوارق بين الناس تطارد الاستغلال والاستعمار .. تطارد هذه المعانى لانها اعتداء على الكرامة الانسانية فى رأى المدنية ، فى رأى الذين يزعمون انهم يفكرون فى المدنية وفى رأى الذين يزعمون انهم يفكرون فى معنى الدين .

نحن امة تعاونية ديمقراطية اشتراكية . وقوميتنا تستمد وجودها من هذه المعانى (*)

القومية العربية والدين

قوميتنا العربية لا تتنكر للدين ولكنها فى نفس الوقت لا تسمح باستغلال الدين ، وهى ترى ان المسلم حين يتدين تدينا حقيقيا نابعا من ضميره ، فان تدينه خير للمجتمع كله ، وان المسيحى حين يتدين تدينا صادقا بمسيحيته فان تدينه كذلك خير للانسانية كلها . فنحن لا نتنكر للدين ، ولا نسمح لهذه القومية ايضا باستغلال الدين . وقد شاء الاستعمار ان يدخل هذه المداخل فى كل بلادنا ، ولكنه اخفق ، اخفق لشىء واحد ، لان الله جلت قدرته يريد ، ولان الاستعمار يريد ولا ارادة للاستعمار اذا وجدت ارادة الله (*).

أمة الأذكياء

ايها الاخوة :

ان الحديث عن قوميتنا العربية حديث يمكن تفصيله تفصيلا واسعا ، ويمكن اجماله ، اعتمادا على ذكاء الامة العربية . والامة العربية لم يجحد ذكاءها احد قط من اعدائها ولا من اصدقائها ، ولذلك فانى اوثر الاجمال اعتمادا على هذا الذكاء ، واكرر مرة اخرى الشكر لاخى

السيد كمال الدين حسين وارجو ان نرفع من هــذا المكان جميعا بشكرنا وتحياتنا الى الرئيس جمال عبد الناصر والى احرار العراق فى شعبه وحكومته والى احرار لبنان المكافحين عن حريتهم واستقلالهم، والى مضرب المثل فى الرجولة والبطولة اهل الجزائر الاحرار والى اخواننا جميعا فى آفاق الامة العربية الماجدة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته





أيها الاخوات والاخوة ...

قبل أن ابدأ كلمتي الموجزة لا بد لي من تقـديم الشكر الجزيل للأخ وزير التربية والتعليم فى الجمهورية العربية المتحدة لانه أتاح لى بهذه المناسبة الالتقاء ثانية بشباب الامة العربية فى هـــذه البقعة العربية المباركة ..

الوطن العربى .. والشعب العربى .. موضوع واحـــد ، او موضوعان متلاصقان لشىء واحد يعرفه كل منا ، فالشباب العربى اليوم قد صرف الكثير من وقتـه فى المدرسة وخارجهـا يتطلع الى خريطة الوطن العربي بواسـطة الاحداث المتتالية فى هـذا الوطن ، ويسمع الكثير بواسطة المجلات والاذاعات عن انتفاضات الامة العربية فى كل مكان ، ولذلك فهذا الموضوع رغم اهميته يدعونا الى الاسهام فيه بصورة غير مسهبة .

آراء خاطئـــة

اذا نظرنا الى الشعب العربى فى واقعه اليوم نجد اننا ما زلنا نحمل رواسب خاطئة كثيرة عن شعبنا العربى ، سبب ذلك اننا قد درسنا الكثير عن شعبنا من مصادر اجنبية ، تلك المصادر التى كانت مشحونة

بالآراء المقصودة لاغراض استعمارية معينـــة . وكل منا يعرف ان الصحافة الغربية الموالية للاستعمار والتى تهدف الى استثمار خيرات بلادنا وحشد قوى شعبنا فى سبيل مصالحها كانت تكثر من الدعاية المنحرفة عن شعبنا مما جعل الكثيرين منا يتقبلون تلك الآراء وكأنها آراء علمية لا مجال للجدل فيها .

اكاذيب استعمارية

واذا نظرنا الى الشعب الغربى فى فتراته الزمنية الماضية نجد ان المستعمرين قد استغلوا الماضى والحاضر لايجاد ثغرات بيننا ، ورمى نقاط للنقاش والجدال توجد الفرقة وتوجد الخلاف ، فها نحن نقرأ عنهم كثيرا ان العرب فى حاضرهم انما هم شعوب مختلفة فيهم لغات وفيهم لهجات وفيهم صفات واشكال متعددة ولذلك فالامة العربية لا تكون شعبا واحدا منسجما ، وانما تكون مجموعة شعوب . وبذلك يتحاشون حتى المقـــارنة مع شعوبهم . لان من يدرس الشـــعوب الغربية المعتزة بقوتها ووحدتها يجد فيها من الفرقة فى اللغـــات واللهجات وفى العادات والطبائع والمظاهر اكثر مما يجـــد فى الامة العربية بين بقاعها المختلفة . وهم لا يكتفون بذلك وانمـــا يرجعون لتبرير هذه الفروق والخلافات الى التاريخ الماضى ، يرجعون الى ماقبل الاسلام فيذكرون لنا نظريات ويعطوننا قواعد يهدفون من ورائها ان نؤمن بأننا حتى اليوم لم نستطع ان نكون شـــعبا واحدا ، يذكرون البابليين والفرعونيين والبرابرة وما الى ذلك من أمثلة كثيرة .

تاريخ صـــادق

واذا ما عدنا الى الماضى البعيد نجـــد ان دراسة الاقوام العربية السابقة من بابلية وفرعونية وبربرية تتميز بتأريخ محلى ، ولكن ذلك التأريخ يوحى بالصفات العربية والعادات العربية والتقاليد العربية . فاليكم بابل مثلا كانت تحتفل بجميع الاعيـــاد العربية وكانت بابل وخليفتها آشور يعتزون بالعروبة اكثر من اعتزاز الجزيرة العربية ، حتى لقد أصبحت كلمة العرب فى العراق باعتزازهم أمام الفرس مضرب الامثال قبل تكوين الدولة العربية الموحدة فى ظل الرسالة الاسلامية . وليس من الطبيعى ان يثبت العرب فى العراق وان يثبتوا فى المغرب

ويصدوا جميع الهجمات المتتالية من الشرق والغرب اذا لم يكونوا جزءا من الامة العربية واذا لم يكونوا جزءا من الشعب العربى الموحد

هــــدف الغرب

وجاء الغرب بنظرية جديدة اراد ان يبثها بيننا ، هى ان العرب عنصر محدود يمثله رجال البداوة فى الجزيرة العربية ، وهم بذلك يهدفون الى ان يوقعوا الفرقة فيما بيننا فيصوروا للناس ان موطن العرب انما هو الجزيرة فقط ، وان المواطن العربية الاخرى انما هى مواطن غير عربية يمكن للمستعمرين ان يسلبوها منهم ويطردوا العناصر العربية الى معقلهم الاول الجزيرة العربية . وهذه النظرية انتشرت فى مدارسنا كثيرا فاكثروا من ذكر الشخص الغربى ذو الوجه الطولانى والانف المنحنى قليلا والقامة الهيفاء الطويلة وما الى ذلك من صفات لا تنطبق الا على البدوى منا . وكأنهم يريدون بذلك رغم تعداد الصفات الجميلة لهذا البدوى ان يوحوا الينا اننا انما نعيش عيشة البداوة وان الصحراء انما هى موطننا فقط .

وعى عربى

أما اليوم فقد تكشفت جميع هذه الخطط الاستعمارية ، واصبح وعى الامة قويا ، واصبحت الحوادث متتالية تبرهن على ان الامة العربية انما هى شعب واحد . ولقد ارادوا ان يجردوا شعبنا العربى من قواه الحضارية ، فأثاروها حربا شعواء فى الناحية الدينية وفى الناحية الحضارية حتى لقد حاولوا سلب شعبنا من جميع قواه الروحية وجميع المبتكرين المخترعين وحاملى لواء العلم والحضارة فجردوا علماءنا من انتمائهم الى شعبنا وارادوا ان يعيدوا هؤلاء العلماء الى شعوب اخرى غير عربية الا ان الحق يعلو ولا يعلى عليه .

الفاتحون الرحمـــاء

وجاءت الحوادث الكثيرة تظهر فيما بينهم التصادم ، ووجدنا بينهم من يخضع للحق والوجدان ويقول احيانا كلمات متناثرة منا اصبحت

ـوة لنا للدفاع ضد الغربيين لاننا كنا فى الحقيقة فى حالة دفاع فكنا مثلا ـتغذى بما قاله « جوستوف لوبون » من أنه لم ير التاريخ فاتحا رحم من العرب ، هذه الكلمات كانت كأنها قوة فى أيدينا نصفع بها ـربيين ونقول انها كلامكم ضدكم .

شعب واحـد

اما اليوم وبعد ان تكشفت الامور وبعد ان بدأت النهضة العربية الجديدة تتفتح وتعى ما يراد بها اصبحت امتنا العربية مضرب الامثال واصبح الشعب العربى فى كل مكان انما هو شعب واحد من ـليجه الى المحيط .. هذا الشعب برهن فى جميع المناسبات ورغم جميع الظروف على أنه شعب واحد يقف موقفا واحدا يدافع عن كيان ـاحد . والمؤتمرات التى دخلناها متفرقين بواسطة الاجنبى والندوات لدولية التى دخلتها امتنا العربية دولا متنازعة احيانا أو متقاربة ـحيانا لم تكن تحول دون اظهار شعبنا العربى بمظهره الحقيقى : المظهر الواحـد .

من خصائص العرب

وعلى هذا الاساس فانى اقول بأن العالم فى مؤتمرنا فى القاهرة : المؤتمر الآسيوى الافريقى انما اعترف للشعب العربى بخصائصه الحقيقية من انه شعب فى مقدمة الشعوب فى التسامح وفى العدل وفى لمنطق ، وفى مقدمة الشعوب ايضا فى القابلية الانتاجية للحضارة البشرية فى سبيل خير الانسانية .

. . ووطن واحـد

اما الوطن العربى فى كلمة مختصرة اليكم .. فهو وطن استقر منذ زمن بعيد .. وطن حدد بما يجمعه معسكركم الآن .. حدد من الخليج الى المحيط .. من العراق والكويت الى مراكش وحدد من اعالى الجمهورية العربية المتحدة الى اليمن .. وهذه الحدود اصبحت رغم مكابرة الاعداء حدا واحدا لوطن واحد ولا يمكن لاجنبى أو لعنصرية دخيلة ان تحتل بقعة منه .

والحوادث برهنت على ان ما حاوله الغرب من ايجاد تفرقة قد فشل فيها ، وما حاوله من ايجاد عنصرية يهودية اسرائيلية قد فشل فيها ، وان ايام اسرائيل قد اصبحت معدودة . شعب يضم ٨٠ مليون فردا بتاريخ عميق مملوء بالانتاج الحضاري والمثل العليا ، شعب يعيش على وطن متناسق متنوع في القابليات والامكانيات ثروات معدنية وثروات زراعية وقوى بشرية ، ولا يقف في طريق هذا الشعب وهذا الوطن الا النفوذ الاجنبي الذي حاول ان يجزىء الوطن الى اوطان والشعب الى شعوب . واننا في رحلتنا الحاضرة انما نقف امام هذا الاجنبي نصفعه صفعة بعد صفعة . وفي المستقبل القريب سنضم جميع الاطراف الى بعضها وسنعيد للامة العربية وللوطن العربي تناسقه الكامل وتوزيع ثرواته وتوزيع قواه البشرية على شكل يضمن للامة العربية ان تعيد لها رسالتها وان تكون في مقدمة الامم خيرا للانسانية ذخرا للعالم .

ايها الشباب ...

هذه رسالتكم لقد بدأ آباؤكم الطريق وما عليكم الا الوصول الى النهاية ، لقد بدأ آباؤكم الطريق بالسرعة المتناسقة مع الزمن الا ان السرعة اصبحت الآن كبيرة جدا فما عليكم الا ان تقفزوا القفزات لان قوتكم تسمح لكم بهذه القفزات والامة في انتظاركم في القريب العاجل واشكركم .





بسم الله الرحمن الرحيم

اخى السيد كمال الدين حسين ، باعث فكرة هذه الندوات التى تلتقى عندها العقول كما تلتقى القلوب .

ايها الشباب .. والاخوة فى هذا الوطن العربى الكبير ..

نصيبى من هذه الندوة ان اتحدث اليكم عن دور العرب فى بناء حضارات وعن مكانة القومية العربية فى حياة الانسانية فى ماضيها حاضرها معا . ولقد سبق ان تحدث فى هذين المعنيين أستاذنا باقورى حين اجمل : وكان رصينا فى عباراته واضحا فى تعبيره قاصدا لى معنى قصدنا اليه جميعا حين حاولنا ان نعرف العالم بقوميتنا عربية .

وتحدث فى هذين المعنيين ايضا استاذنا الدكتور جابر واشار بصفة خاصة الى تصوير الاوربيين وعلماء الغرب لقوميتنا العربية تصويرا خاطئا قصد الى الخطأ والى الضلال قبل ان يقصد الى جلاء الحقيقة .

ودورى الآن ان افصل بعض ما ذكرا بعض التفصيل وان احاول بصفة خاصة ان اطلعكم ايها الشباب .. الناشىء .. على بعض نواحى

تفكير من سبقوكم من ابناء العروبة الذين حاولوا ان يدرسوا قوميتهم العربية ، ان يدرسوها في ماضيها وفي حاضرها لعل هذه الدراسة ان تنير السبيل امامنا نحو المستقبل .

تنوع .. وتكامل

والقومية العربية لا يمكن ان تفهم الا في نطاق الوطن العربي .. والوطن العربي الكبير الذى يمتد من الخليج الى المحيط ، وطن يمتاز بانه يجمع بين امرين ، فاما الامر الاول فهو التنوع ، واما الامر الثاني فهو التكامل . ومن هذين الامرين من عنصر التنوع ومن عنصر التكامل تنبثق هذه القومية العربية الموحدة . ومن حقنا ومن واجبنا ـ نحن الشباب ـ ان نذكر هذا التنوع الذى صوره الغرب وعلماء الغرب المغرضون ، صوروه بانه اختلاف .. بانه تنافر ، ولكنه في الحقيقة تنوع يؤدى الى التكامل . حاول علماء الغرب وباحثوه ان يحيلوا هذا التنوع الى مصدر ضعف في الامة العربية . ومن حقنا وواجبنا حين نبحث قيام الامة العربية وتكوين الوطن العربي ان نحيل هذا التنوع الى مصدر قوة لا الى مصدر ضعف .

مبـــدأ الاصلاح

وقديما في الاصلاح كان الراى عند المصلحين حتى في بلادنا العربية اننا حين نحاول ان نصلح فيجب ان نبدأ بنواحي الضعف ونحاول ان نقويها ، ونبدأ بالعيوب ونحاول ان نصلحها ، ولكن فلسفة الثورة الحديثة ، فلسفة الثورة التي بعثها ثائرنا العربي الاول في عهدنا الجديد تقوم لا على اساس البحث عن نواحي الضعف لاصلاحها ، وانما على اساس البحث عن مكامن القوة لبعثها .. القومية العربية لها فلسفة جديدة . نحن لسـنا ضعفاء ولكن الغرب حاول ان يوهمنـا باننا ضعفاء ، ونواحي الضعف التي حاول الغرب ان يكشف عنها كشفا

مفرضا انما هى مصـــادر للقوة . وهـــذا الوطن العربى المتنوع انما يستمد قوته من تنوعه . لأحاول معكم الآن أن اطوف فى سرعة فى بعض ارجاء هذا العالم العربى لنتلمس معا مكامن القوة فى هذا الوطن

البـــادية

لنبدا بالبادية ، بالبـــادية فى نجـــد او فى الشـــــام ، أو فى اى قسم آخر من هذه البادية التى تعطى بلادنا العربية طابعها العام .
البادية اصل العروبة ، فيها البداوة ، فيها هذا الجنس الطيب الذى حدثكم عنه الدكتور جابر . البدوى الاصيل ، فيها هذا العنصر الذى خرج ليستقر فى ارض العراق وليستقر فى أرض الشام ، وليستقر فى ارض مصر ، وليستقر فى أرض اخرى فى بلاد اليمن فوق جبـــال عالية ، وفى بلاد الجزائر فوق جبال شامخة لا تحنى رأسها ابدا للزمن ولا للاحياء ، هذا العنصر العربى خرج من البادية ليستقر فى كل مكان وحمل معه عنـــاصر البداوة التى تميز العربى ، عنـــاصر الرجولة ، النخوة ، المروءة ، الشهامة ، الذكاء النادر ، الاستيحاء ، الايمان بالله هذه المشاعر جميعا التى تميز الانسان من الحيوان ، خرج بها الاعرابى من باديته ليستقر بها فى اراضى الحضر واخذناها نحن عنه فى كل مكان من ارجاء الوطن العربى الكبير .

درع العروبة

ثم لننتقل الى العراق الحبيب ، لننتقل الى العراق ، الجناح الايمن للوطن العربى ، هذه الارض الطيبة التى استقر فيها العرب لينشئوا الحضارة ، ولينشئوا المدنية ، لا منذ العهد الاسلامى كما صور مؤرخو الغرب وانما منذ عصور ترجع الى ما قبل التاريخ . العراق كان دائما يمثل الجنـــاح الذى يحمى العروبة والذى يتحمل الصـــدمات من الخارج فيصمد لها ويبقى حيا بعروبته ، جاءه الهكسوس منذ قديم ،

ثم جاءه المغول والتتار وحطموا مدنه واحرقوا بغداد ، ولكنهم لم يستطيعوا ان يطفئوا شعلة العروبة فى ارض العراق .

ثم جاء هذا العهد الحديث ونزل الاتراك ارض العراق كما ينزل الجراد الارض الخضراء ، أتوا على كل شيء فى الزرع ، ولكنهم لم يستطيعوا ان يقتلوا روح العراق ، وجاء الاستعمار فى أعقاب الاتراك ، ثم تحالف العدو الجديد مع العدو القديم ، وحاولوا ان يكتموا انفاس العراق . انفرد الاستعمار القديم والجديد بهذه المنطقة التى تقع عند جناح العروبة وحاولوا ان يطفئوا فيها نور الحياة ، ولكن الله سبحانه اراد للعراق أن يحيا واراد للعراق ان يكون دائما درع العروبة يقيها الآن كما واقاها أيام التتار وأيام المغول وأيام الهكسوس

الشــام مركز الدفاع

ثم لننتقل الى بقعة اخرى من ارض العروبة لها دورها أيضا فى هذا التنوع والتكامل هى أرض الشام ، هذه الارض العظيمــة التى نقف فيها الآن . لكل عربى منا فيها مكان ، هذه الارض انتقل فيها الاعراب من البادية والبداوة الى الحضارة والمدنية ، ولكنهم لم يفقدوا صفاتهم الاولى ، صفات البداوة ، صفات الاستمساك بالحرية لان الحرية انما تتنزل من عند الله . هذه الصفات فى الحرية وفى المروءة وفى الشهامة وفى النخوة وفى النجدة كلها تتمثل فى العربى الحضرى الذى يعيش فى دمشق الناعمة كما تتمثل دائما فى العربى الذى يعيش فى اقاصى البادية . هذا الشام كان موطن العروبة الحضرية بمعناها الادق،كان دائما رباطا قويا بين الجناح الايمن وبين الجناح الغربى من العالم العربى الآسيوى . كان الشام دائما ، والشام بمعناه الاوسع الذى يشمل ما كنا نسميه بسورية او لبنان او الاردن او فلسطين ، من هذه الاسماء الصغيرة التى ورثناها عن الغرب حين قسم بلادنا . الشام كان دائما رباطا يربط العروبة بعضها ببعض . وكان دائما هو الذى يمثل العربى المتحضر البدوى فى آن واحد ، العربى الذى تمدين

ولكنـه لم يتنكر لأصوله ، العربى الذى استمسك بماضيـه كمـا يستمسك بحاضره ، العربى الذى يعتز بالماضى والذى يعتز بالحاضر وينظر دائما الى المستقبل . وفى الوقت نفسه كانت الشام دائما نقطة الدفاع الاصيلة عن العروبة فى تاريخها الطويل . كانت نقطة الدفاع ايام غزوات الحيثيين ، وكانت نقطة الدفاع ايام غزوات الصليبيين ، تلك الحرب الصليبية التى لم تكن ابدا حربا دينية وانما كانت حربا سياسية استعمارية جاء اصحابها لا متحلين بدين ولا ساعين الى رسالة وانما جاءوا اصلا من شراذمة من الافاقين الغربيين الذين لم يكونوا ليفهموا شيئا عن المسيحية السمحة التى نادى بها السيد المسيح . المسيحية التى نشأت فى هذا الوطن وقامت على اساس المحبة والانسانية . ان الله سبحانه حين اختار هذه الارض ، وحين اختار هذا الشعب ليبعث بينه رسوله المسيح عليه السلام انما اختار ذلك كله لحكمة لان هذه الارض هى أرض السلام ، هى أرض المحبة ، هى أرض الانسانية . فلما خرجت المسيحية من عندنا وذهبت الى اوربا لم يفهمها الاوربيون لانها كانت امرا مستعارا بالنسبة اليهم . الاوربيون المسيحيون فى الظاهر يحارب بعضهم بعضا باسم المسيح ، والمسيح منهم براء . هذا الوطن الشامى دافع أيضا عن العروبة كلها ايام المغول بعد ان نجحوا مع الاسف الشديد فى بغداد وانطلقوا نحو الغرب تألبت البقية الباقية من العروبة الآسيوية وجاءت مصر الى الشام واستطاع العرب متحدين فى الشام وفى مصر ان يردوا الغزاة وان ينقذوا التاريخ ويومه لا بالنسبة اليهم فحسب وانما بالنسبة للانسانية جميعا .

وحـدة وكفاح

ما أحرانا ان نذكر هذا الماضى الذى لا يكاد يختلف فى شىء كثير عما نراه الآن حين سعى البغى والطغيان الى هذا العالم العربى المسالم الآمن المحب للانسانية ، سعى الغرب باغيـا فى صورته الجديدة فى استعماره ، فى صهيونيته ، فى حروبه الطاغية الباغية ، ولكن الله سبحانه

شاء للعروبة ان تتحد من جديد فى نواتها الاولى بين الشـام ومصر لتدافع ولتكافح ولتنتصر ولتتحد آخر الامر باذن الله .

حقـــائق

ثم لننتقل الى الشعب العـربى فى مصر . فى وادى النيـل الادنى والشعب العربى فى مصر لايرجع تاريخه الى العهد العربى كمـا كان يقول كتا بالغرب ، وانما الصلات اقدم من ذلك بكثير ، صلات الدم والعروق والانساب والارحام ؛ صلات ترجع الى عصـور ما قبل التاريخ ، ولست احب ان احيل هذه الندوة الى درس ، ولكن درس التاريخ يجب ان يذكر ، والتاريخ الصادق هو ان الشعوب العربية من الخليج الى المحيط فى اصلها كلها تنتسب الى جنس واحد ، سموه حينا بالساميين ، وسموه حينا آخر بالحاميين ، ولكنه من غير شك سلالة بشرية واحدة دخلت فيها بعض الدماء ولكن لتزيدها قوة ، والصلات والانساب والارحام تزيد الانسان قوة لانها تزيد من ملكاته ، وتوسع من نطاق مواريثه . الشعب العربى فى مصر شعب قديم ، واذا كنا قد تعلمنا فى الماضى ان الفرعونية تحول دون العربية فاننا يجب أن نذكر الآن أن الفرعونية فى مصر ، وأن الآشورية فى العراق وانالفينيقية فىلبنان،وأن الحميرية والسبئية فى اليمن ، وانالبربرية والقرطاجانية فى تونس والجزائر وشمال غرب افريقية ما هى كلها الا الجاهلية الاولى بالنسبة للثقـافة العربية . الثقافة العربية لها جاهليتان : جاهلية قديمة فى التاريخ هى تلك التى نتحدث عنها بتلك الحضارات جميعا ، وهى من أصولنا حاول الغرب ان يوقع فى نفوسنا انها حضارات تختلف عن العربية ، وانخدعنا للاسف الشديد بذلك وحاولنا ان نصور الفينيقية احيانا او الفرعونية او الآشورية على انها ثقافة معادية او مخالفة للثقافة العربية مع انها فى الواقع اصـل من اصول الثقافة العربية . يجب ان يدرك الشاب منا ان تاريخنا عريق ، وانه كانت لنا جاهلية كنا فيها منقسمين ، كنا فيها اوطانا صغيرة ، كنا فيها مناطق ثقافية مختلفة وان كانت مترابطة بعض الترابط من

حين الى حين . ثم جاءت الجاهلية القريبة منا قبل الاسلام ، ثم جاءت العروبة ، وانطلقنا من الجاهلية الى العهد الجديد ، وانطلقنا من عهد التفرقة والانقسام الى عهد الترابط والوحدة ، واصبحنا امة واحدة باذن الله .

خير الأمم

هذا هو تاريخنا على وجهه الصحيح . هذا هو تاريخنا على النحو الذى ينبغى ان نعيه ، لا يجوز مطلقا ان يتصور الشباب منكم ان فرعونيته او ان آشوريته او ان فينيقيته أمر يجب ان يتخلص منه او ينبغى ان يتنكر له ، ذلك تصوير الغرب ، وانما يجب ان يتصور الشاب منكم أن ذلك كله تاريخ قديم كنا فيه فى عهد الجاهلية ، وفى عهد الانقسام ، وفى عهد الضعف السياسى ، فلم يستطع بلد واحد من تلك البلاد القديمة ، لا مصر الفرعونية ولا العراق البابلى او السورى ولا لبنان الفينيقى ، لم يستطع ان يخرج الى العالم كله بضيائه ونوره حتى جاءت الوحدة الثقافية والروحية للعرب ، وحتى جاءت هذه الوحدة الجديدة التى تكامل فيها الوطن العربى ، تكامل بأجزائه المختلفة ، وخرجنا للناس امة واحدة وكنا باذن الله خير أمة أخرجت للناس .

أمة جديدة تقوم على الحق وتقوم على الخير وتقوم أيضا على الجمال .

الغرب يتنكر للعرب

قام العرب بكل هذا ، ولكن الغرب لم يلبث أن تنكر . الغرب الذى لم يفهم المسيحية من قبل ، لم يفهم الاسلام أيضا ، فعادى الاسلام مع ان الاسلام جاء دينا للاخاء كما كانت المسيحية من قبل دينا للمحبة . هذا الغرب تنكر لنا وحاول ان يقتطع هذا الجزء العزيز من الوطن العربى ، حاول ان يميت فيه الثقافة العربية ، وأدرك أن مصدر

القوة فى حياة الأمة العربية هو الثقافة ، هو هذه اللغة العظيمة التى حدثكم عنها استاذنا الباقورى ، والتى حدثكم بها شاعرنا العربى عظيم ، هذه اللغة العربية التى تتجاوب لها اصداء القلوب والمشاعر فى ى مكان حاول المستعمر الاوربى ان يطغي عليها فى شـــمال غربى ريقيا ، فحال دون اخواننا فى الجزائر وفى تونس وفى مراكش،حال ينهم وبين ان يتلقوا الثقافة العربية من منابعها الجديدة فى المشرق عربى ، ولكن شعلة القومية العربية ممثلة فى حياة العرب فى شمال ريقيا كان الله قد شاء لها ان تبقى وان تحيا على الزمن ، فلم يكن سيرا على العروبة فى شمال غربى افريقيا ان تقاوم وان تكافح وان تحيا وان تعيش وان تغلب الغاصب باذن الله فى يوم قريب .

طريق النور

وفى سائر ارجاء العـــالم العربى .. فى السودان حضـــارة عربية حملته عن طريق مصر ، لان الله شـــاء أبدا أن يكون الجزء الادنى من وادى النيل طريق النور وطريق المعرفة وطريق الثقـــافة والقومية العربية أبدا

اليمن المكافح

ثم فى اليمن ـــ فى اليمن العزيز ـــ هذا اليمن الجبلى الذى صوره الاستعمار بأنه بلاد بعيدة عنا هو منطقة جبلية شـــامخة من وطن العرب انتقل اليها العرب من البادية واستقروا فوق الجبال ، كافحوا الاستعمار ونجحوا فى مكافحته فى كل العصور ، كافحوا الفرس حين حاولوا أن يغزوهم ، وكافحوا الرومان وانتصروا عليهم وكافحوا الاتراك ولم يسمحوا لهم بغير سيادة اسمية محدودة النطاق ، وكافحوا الانجليز ، والفرنسيين ، الفرنسيين فى الشيخ سعيد ، والانجليز فى عدن وما اسموه بالمحميات من اليمن العربى ، كافحوهم ونجحوا فى كفاحهم ، واحتفظوا بشعلة الاستقلال وبروحه دائما . ليس غريبا فى عهد القومية العربية ان يستجيب هذا اليمن السعيد ـــ هـــذا

اليمن العربى حقــا ــ أن يسبق غيره فى الاستجابة ، لانه ألف الحرية وألف الاستقلال ، وعرف أن الحياة بغير حرية لاتستحق أن يحياها الانسان .

ثقافة حيـــة

هذا ايها الشباب العربى هو وطنكم ، وتلك حضارتكم اما دوركم بالنسبة للانسانية كلها ، فقد كان دائما دور سلام ودور امن ودور ثقافة . دور ثقافة بلون خاص ، والثقافة العربية تمتاز على غيرها من الثقافات بأنها ثقافة حية لا تموت ، ثقافة جذورها ثابتة فى ارض بلاد العرب فى كل مكان ، لنا حضارات قديمة يجب ان نعتز بها ، ثم لنا حضارة عربية بقيت على الزمن امتازت دائما بالقدم والاستمرار ، فلغتنا العربية التى نتحدثها فى كل مكان من ارجاء العروبة ، والتى يعيننا التعليـــم وتعيننا التربية على أن نبعثها بعثا جديدا،لغتنا التى حفظها لنا القرآن ، لغة قديمة حية باقية . نحن لا نزال حتى اليوم نقرأ الشـــعر الجاهلى الذى كتب منـــذ خمسة عشر قرنا او اكثر ونتعشقه ونتذوقه ، نحس فيه مشاعر العربى الاول ، نعيش فى جوه كما عاش الاعرابى منذ ستة عشر قرنا او اكثر ، وليس مثلنا من الامم امة اخرى على الارض لها هذه اللغـــة . لو اننا ذهبنا الى بريطـــانيا او فرنسا أو أتينا بشعر كتب منذ خمسة قرون أو ستة قرون لمـــا استطاع أحـــد أن يفهـــم منه شيئا ، ولما استطاع أن يحس مشاعر أجداده ، لان حياته لاتقـــوم على الترابط ، ولا على التسلل ولا على التماسك ، ولان حاضره لا يتصل بماضيه . اما نحن فأمة قديمة جديدة ، امة شيخة فى التـــاريخ ولكنها شابة فى الحـــاضر قوية فى المستقبل ، أمة لها لغة حية دائما ، ولها ثقافة تعيش أبدا وتسطع بأنوارها أبدا ، تســـطع بأنوارها نحـــو الشرق كلـــه ، وتســـطع بأنوارها حتى نحو الغرب كما سطعت من قبل ، وعلى الغرب ان يفتح أعينه على النور . انه حين فتح اعينه الآن على نور القومية العربية وضيائهـــا القـــوى بهـــره ذلك النـــور فلم ير الحق فتخبط ، ولكن نورنا سيسطع ابدا ولو اعمى اعين الاعداء .

هذه الثقافة العربية ستحيا ابدا ، وهى مصدر من مصادر قوتنا ، عليكم ايها الشباب حين تجتمعون فى هذه المعسكرات وحين تستمعون

الى هذه الندوات ان تذكروا دائما ان العربى هو اقرب الانسان الى الانسان ، ان الله سبحانه وتعالى حين اختار هذه الارض الطيبة لتكون مهبط وحيه ، وحين اختار هذا الشعب العربى العظيم ليكون رسوله الى العالم ، حين اختار كل هذا انما اختاره لحكمة ، وانما أودع بينا سره لنطلع برسالته دائما ابدا ، علينا ان نذكر هذا كله وان نذكر انه من مصادر قوتنا العظيمة ، قوتنا الخالدة ، قوتنا التى نستمدها من قوة الله ، وما خاب من استمد قوته من قوة الله .

والسلام عليكم ورحمة الله .





أيها السيدات والسادة

القومية والاستعمار

بين قوميتنا العربية والاستعمار تعايش طويل ، ولكنه تعايش غير سلمى ، كان من القدر الا يجد الاستعمار فى العصر القديم الا القومية العربية تكافحه وتنافحه ، فللمرة الاولى قامت الدولة العربية الموحدة الاولى وهى تحمل الرسالة فتهزم الاستعمار من الشرق وتقضى على امبراطوريتين بشعارات صحيحة هى الحرية الحقيقية ، والمساواة الحقيقية ، والأخوة الحقيقية .

وسار الزمن واصطدمت هذه القومية للمرة الثانية مع الاستعمار أيام الحروب الصليبية ، ولقد قال أخى الدكتور حزين ان هذه الحروب لم تكن دينية كلها ، ولكنها كانت مادية . وأريد أن أشفع قوله بدليل صغير ، عندما كان الغزاة الصليبيون يتجهون نحو الشرق مروا ببيزنطة (استانبول) ..

وكانت بيزنطة حصن المسيحية الذى كافح الاسلام قرونا طويلة ،

وإذا بالصليبين يحولون انظارهم عن الشرق ليحاصروا القسطنطينية المسيحية ويحتلوها ، ويهدموا أسوارها للمرة الأولى فى التاريخ ، سبب ذلك صفقة تجارية هى فى روح الحرب الصليبية ، طلبت البندقية الى الصليبيين أن يمنحوها القسطينية ؛ لتفوز البندقية بسيادة البحر وحدها ، ولتفوز بالاحتكار .. احتكار نقل الجنود.. أحتكار تعهد الأرزاق . فى سبيل هذه الصفقة حطمت القسطنطينية حصن المسيحية على أيدى المسيحيين ؛ لينعم محتكرو البندقيــة بأنوار الصليب المحترق فى أيا صوفيا .

القومية حصن الحرية

ودار التاريخ دورته ، وجئنا الى العصرالحديث ، وجاء الاستعمار .. لم يجد أمامه الا القومية العربية ، ولماذا يجد القومية العربية فى وجهه ؟ لأن العرب أقاموا على هذه الأرض الطيبـــة التى تمتد من الشرق الى الغرب ؛ لتحمى افريقيا من الاستعمار الاوربى ، ولتحمى آسيا من الاستعمار الاوربى ، ولتفتح قلوب هذه البلاد على النور والمعرفة والمدنية .. فجاء الاستعمار بآلاته الجديدة واستولى على بلادنا بلدا بعــد بلد .. أسلحة كانت مختلفة ، تغلب علينا بعــدد لا يحصى من هذه الأسلحة .. هذه الأسلحة هى التى سأستعرضها الآن وإياكم .

من أسلحة الاستعمار ..

سلاحه الاول كان القوة العسكرية ، ولكن اذا كان الاحتلال سهلا فقد كان الاستمرار على الاحتلال صعبا ، ثار العرب فى كل بلد .. وقاوموا الغاصب تحت كل نجم حتى حرموه الراحة واضــطر أن ينسحب من بلادهم بلدا بعد بلد .. وحتى جاءت المعجزة فى هذه الأيام أن شعبا عربيا نبيلا ــ شعب الجزائر ــ نقل المعركة من الجزائر الى عاصمة المحتل ــ فرنسا ــ ولكن هذا السلاح العسكرى كان أقل الأسلحة خطرا . كان فى يد الاستعمار أسلحة أشد بأسا وأمضى فى حرمان الشعوب أصولها ومدنياتها .

• • الاحتكار

هذه الأسلحة أولها الافقار .. الافقارسبب الاستعمار وحكمته ؟ ولولا الافقار لما عاش الاستعمار ، الاستعمار هو خلق سوق لبيع المواد المصنوعة ، وخلق مزرعة لزراعة المواد الأولية ..

هو افقار الشعب ليعيش بأجر بخس ؛ ليكون انتاج المادة الأولية رخيصة ليربح المنتج الصناعى .

واذن يجب أن يتكاثر الشعب فتقل أجرته ، فينخفض مستوى معيشته ، فيربح المستعمر ! !

هذه هي قصـة الاستعمار فى كل زمان ومكان .. هى احتقار للانسان ! ! .. هى نهب للثروات ! !

• • المصـادرة

أما هذا الافقار فقد حرص المستعمر أن يصل اليه بوسائل كثيرة ؟ اسمى منها أولا المصادرة .

حيث نزل المستعمر صادر الأرض ! ! يملك الجزائر الآن حفنة من المستعمرين الأوربيين ، ولا يملك عشرة ملايين من الجزائريين اكثر من ٥ ٪ من الأراضى التى تصلح للزراعة ! !

مثل هذا جرى فى تونس ، ومثـل هذا فى مراكش . والمصادرة كانت تجرى شبه مجانية ــ أما المستعمر فكان يأخذ الأرض وكانت الخزينة تعطيه نفقات استثمار هذه الأرض . الخزينة تجمع ذلك من الضرائب التى يدفعها فلاحو الأرض أصحابها القدماء .

عرقلة التصنيع

وبعد المصادرة جاءت عرقلة التصنيع ، عرقلة التصنيع نكتة ؟ أو مؤامرة ! ! نكتة قالها علم الاقتصاد ، قالها البريطانيون العلماء فى القرن التاسـع عشر .. ويقولها الأمريكيون فى القرن العشرين .. قالوا ان الله خلق الناس ومنح كلا منهم خصائص ومزايا ؛ فجعل منهم صناعيين .. وجعل منهم فلاحين : أى جعل أسيادا وجعل

مسودين ، جعل أقوياء وجعل مستضعفين . هذا قدر لا نستطيع له ردا .

هذه كانت النظرية العلمية التى سادت القرن التاسع عشر ، وقالت لشعوب آسيا وافريقيا أنتم زراع ، تزرعون المادة الأولية يشتريها الأوربى بالسعر الذى يشاء،أى يحدد لكم مستوى معيشتكم كما يشاء ! ! وهذا السعر منذ مائة سنة حتى الآن فى هبوط مستمر : اى أن مستوى معيشة أهل افريقيا وآسيا كان دوما فى هبوط مستمر ، ثم ظهرت الخدعة ، انتهت الحرب العالمية الأولى عن شعوب نهضت وقامت للتصنيع ، فى كل بلد عربى نهضة تصنيع، وأقليم مصر أول من كذب هذه الأسطورة ، مصر عانت الاختصاص، عانت نظرية سميث ، عانت الاختصاص بحسب الكفاءات والمزايا الطبيعية ، كان لديها القطن يشتريه مشتر واحد هو ذاك المستبد فى مانشستر ، هو الذى يحدد السعر كيف شاء ، هو الذى يحدد كمية الشراء كيف يريد ، هو الذى يقرر أن يشترى وأن لايشترئ. هو الذى يقررأن يعيش شعب مصر أو أن يموت ! ! وفطن شعب مصر الى المكيدة وبنى المصنع وبنى المعمل ، وفى مقابل كل معمل كان يبنى فى مصر ، كان يغلق معمل فى بريطانيا ، هذا معنى التصنيع ، أما الزراعة فكما قلت : حرفة الضعفاء ، والصناعة حرفة الأقوياء .

• الحصار الاقتصادى

وبعد التثبيط عن التصنيع جاء الحصار الاقتصادى ، جاءت الحروب الاقتصادية عانيناها جميعا ، عانتها مصر عندما كسد قطنها ، وعانتها مصر بند العدوان على بورسعيد ، عندما منعوا عنها الأموال ، وعندما حجزوا عنها أموالها ، وعانتها سوريا عندما تضامنت مع مصر فلم تجد من يشترى منتجاتها ، عرضت حنطتها بعشرين فعرض الأمريكان عشرة فلم تجد من يشترى منها انتاجها. هذه وسائل الافقار .

• • الابادة

وسلاح آخر أشـد من الافقار هو الابادة .. هو القضـاء على الانسان ، الاسـتعمار قضى على عناصر لا تحصى ، قضى على أهل امريكا الجنوبية ، وعلى أهل استراليا ، وعلى أهل أمريكا الشمالية وحاول أن يقضى على العرب ، ولكن رغم حملات الابادة التى لاتحصى .. رغم أنه كان يبيـد فى االجزائر الملايين بعـد الملايين لم يستطع أن يستأصل العنصر العربى ؛ ذلك لأن العنصر العربى يختلف عن غيره ؛ لأنه عنصر صاحب رسـالة وصاحب مدنية ، والعنصر ذو الرسالة لا يمكن أن يبيد .

ذكرت مثال الجزائر وأريد أن الح عليـه ، استعرضـت ثورات الجزائر لا ثورتها الحالية فوجدت عودا موقوتا وكأنه قدر . درست تواريخ الثورات فوجدت أن هذه الثورات كانت تتتالى الواحدة بعد التالية فى مواعيد معينة حدها عشرون أو خمس وعشرون سنة ، ولعل السبب فى ذلك أن الجزائر كانت تدفع ضريبة الدم جيلا بعد جيل ، تعطى زهرة شـبابها فى جيل ، ثم تنتظر حتى ينشـأ جيل جديد تقدم فيه كتائب شـهداء حتى جاءت المعركة الأخيرة معركة النصر الذى لاريب فيه ، المعركة التى ستكون فيها الجزائر الى جانب أخواتها الدول العربية تعيش فى الأسرة العربية حرة مستقلة.

• • التفرقة

وهناك سـلاح التفرقة السياسية حيث جزءوا البلاد العربية ؛ بل جزءوا البلاد التى كانت خاضعة لسلطان واحد ، رغم أن تونس والجزائر ومراكش كانت تحت الحكم الفرنسى ، كانت مجزأة ؛ اذ ليس أخطر على المستعمر من الوحدة ، ولذلك جن الغرب عنـدما اعلنت وحدة سوريا ومصر ، جن الغرب حينما أعلن عبد النـاصر وحـدة النضـال العربى ، ولذلك كانت معركة بورسـعيد معركة

الجزائر ، معركة عمان معركة كل عربي ، معاركنا ثأر .. من ازمارا ، من كل خائن للعروبة ، من عبد الاله ونوري السعيد ومن كل خائن سيأتي ان كان سيأتي خائن في بلاد العرب ! !

.. محاربة اللغة القومية

وأخيرا سلاح التشكيك بمقوماتنا القومية ، حدثكم سيادة الاستاذ الباقوري ، ثم سيادة الاستاذ حزين عن اللغة العربية ، وأريد أن أحدثكم عن أن الخطر الكبير ، هو مؤامرة على اللغة العربية ، قال المستشرقون وقال تلاميذهم من المتحذلقين المثقفين أن اللغة العربية لم تعد تتماشى والزمن ، واذن يجب اطراحها والأخذ باللغات العامية انها اللغة الطبيعية ويجب كتابتها كما نشاء بالحرف اللاتيني . هذا ايضا تطور طبيعي ، وبذلك نقطع صلتنا بماضينا .. نقطع صلتنا برسالتنا .. لن نبقى عربا بعد بضع سنين ولكننا سنبقى شعوبا لها لغات بعدد المدن ! !

.. التنديد بالقومية العربية

ومن الأسلحة التشكيك في القومية العربية .. التشكيك في الرسالة العربية .. وفي المدنية العربية . تلك أمور تدرس وتنشر في الكتب وتذكر في المؤلفات ، وتقال في الاذاعات . زرت مدينة كبرى تدعى انها اسلامية .. ورأيت فيها مبنى لمكتب استعلامات أمريكي ، سألت عن عدد موظفيه فقيل لي : ان الموظفين الذين وردت أسماؤهم في الميزانية ثلاثة آلاف يتقاضون الرواتب ، وظيفتهم التنديد بالقومية العربية ، هؤلاء يدفع لهم ليندوا بالقومية العربية في نظر الشعوب الشرقية الأخرى ، في نظر الشعوب الاسلامية ليحصروا العرب وليعزلوهم عن العالم ، وليجعلوا العرب عصبية ضيقة لا شعبا ذا رسالة واسعة .

الاخلاق حصانة

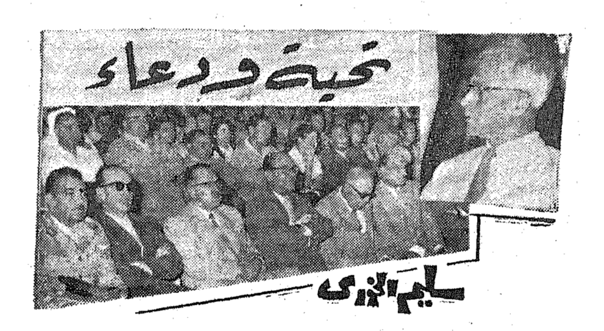
بهذه الأسلحة يحاربنا الاستعمار ، ويحاربنا بسلاح خفي هو هدم أخلاقنا وتحطيم مثلنا ..

عندما أنكرنا عروبتنا .. عندما تنكرنا لسجايانا .. عندما نسينا
أننا أصحاب رسالة ضعفت نفوسنا ونسينا أخلاقنا وانهارت قوتنا.
لذلك ان شئنا أن نعيد للعرب تاريخهم .. ان شئنا أن نعود
سيرتنا الأولى ..

ان شئنا أن نعيد ماضينا .. ان شئنا أن تكون للعروبة معنى
خالدا يعطى الانسان حريته وسلامه وأمنه يجب أن نرجع الى
سجايانا ، وأن نعرف أن العربى هو هذا الانسان الذى يفهم معنى
الانسانية ، ويفهم الاخوة الانسانية على أنها حرية ، وعلى أنها كرامة.

والسلام عليكم ورحمة الله .





أخواتي واخواني ...

غــذاء روحي

بعد ان مد لكم هذا السماط الرشيدي الغني بكل ألوان الغــذاء الروحي والعقلي والعاطفي ، من قصائد وطنية ، ومحاضرات اجتماعيه ، واقتصادية ، من كل الالوان ماداعساي أن أجيئكم بعد أن شبعتم وبعد أن تفكهتم ، الا ان يتاح لي بعض الابازير للتسلية .

أخواتي واخواني ...

انني احمد الله تعالى حمدا خاصا انه بعد ما يناهز نصف قرن من الزمن ، رحمني فأتاح لي فرصة اعود فيها الى وطني الحبيب أطأ هذه التربة التي أعدها فتيتــا ، حمدا خاصا انني تمتعت بعــد غيبتي هذه الطويلة برؤية الاحباب ، عدت الى وطني وكفى بها متعة ، وكفى به نعيما .

حلم تحقق

واني لأحمد الله تعالى حمدا عاما ، تشاركونني فيه وأشاركم انني وطئت ارض هذا الوطن الغالي وهو حر مستقل ، أحمد الله ان ذلك

الحلم الناعم الذى طالما راود اجفاننا ، وحام حول مضاجعنا قد أصبح حقيقة ناصعة تصفق براياتنا ، وتضحك فى ثغورنا وتهتف بحناجرنا وتدمدم بصدورنا .

رحيق الوحـــدة

الحمد لله اننا بعد ان قذف بنا الاستعمار بدد شزر مذر ، بعد أن فرقنا اشتاتا فى كل صحراء ، فى كل رمضاء ، عـدنا بعونه تعالى ، وبجهاد الابطال الميامين من أبنائنا واخواننا ، عدنا نجد أنفسنا ندخل أفواجا فى جنة العروبة ، فى جنة الوحدة اخوانا على سرر متقابلين ، يطاف علينا بأكواب من رحيق الوحدة لذة للشـاربين

أخواتى واخوانى ...

لقد نبهنى خطاب سيادة الشيخ الباقورى فى فقرة منه الى قضية الاديان فى جهادنا ، اذ قال : نحن لانتنكر للدين ، ولكننا لانستغل الدين ولا يستغلنا ، نبهنى الى بعض مواقف اضطررت فيها الى ان اجابه أحد رؤساء الدين من أبناء طائفتى ، اسمعكم بعضها مزحا للتفكهة بالوطنيـــة .

فقد كان غبطته يدافع عن وجود المحتلين فى بلاد العروبة ويقول : ان الســيد المسيح عليه الســلام قال : « حبوا اعداءكم وباركوا لاعينكم . »

فاضطرنى أن أقول :

يا سيد الدين هلّ يدعى معلمكم عيسى بن مريم أم موسى وهارونا
قال المسيح لنا حبوا أعاديـكم لكنه لم يقل حبوا الشـــياطينا
الدين قبلتنا لكن تجارتكم بالـــ ـدين تكرهنـا أن نكره الدينـا

العروبة ديننا

وعلى هذا البناء أقول :

يا مسلمون ويا نصارى دينكم دين العروبة واحـــد لا اثنـان
بيروتكم كدمشقكم ، ودمشقكم كرياضكم ورياضـكم كعمان

سنجد دون الملك من يمن الى مصر الى شــام الى بغـــدان
وستكفلون حضــارة الدنيا كما تفل الجـدود حضــارة اليونان
فاجروا الى الغايات جرى جيادكم أيقصر العـربى عن حيــوان ؟
لا تيأسوا : ان لم يطر يعسوبكم قبل اكتمال وســائل الطيران
لله اذ يرعى القطيع مشـيئة أن يـدفع الذؤبان بالذؤبان
لا تكفــروا اذا ما بعثتم مــرة لم لا يكون المؤمن بعثــان ؟ !

***

نحــن قوم فتنتنــا مثلة ما لنفس الحر عنها من محيـد
ليس يغنينــا عن استقلالنا جنــة الوعد ولا نار الوعيـد
كلما اسـتشهد منــا بطل هتف الاجـداد أهلا بالحفيـد
وتلقى ابن زيـاد روحـــه بتهاليل الرضـا وابن الوليـد
أنجبتنـــا أمــة ما برحت تنجب الابطــال من قبل ثمـود
زرعوا الارض سيوفا وقنــا ثم رووها باحســان وجود
رقصــوا الخيل على الطعن كما رقصوا الطـير على خفق البنود
كلما قيــل انطوت اعــلامهم وانطووا هبوا الى مجــد جديد
كالنجوم الزهر فى افلاكهــا أبـدا بين هــوى وصـعود
لم يضرنا راحــة بعد العنــا فالكرى يغمض اجفــان الاسود
وسـنعلى ما بنى اجــدادنا بالمزايا الغر والعزم الحــديد
فارتقب يا أيهــا المزرى بنــا ليس يوم البعث منا ببعيـد

***

ثب يا شــباب العــرب ، ثب مشت الشـعوب وانت نائم
ثب فالعــلى نار تأجــ ج فى العـروق وفى العـزائم
ورد المجـــــرة بالضرا غم تحت أجنحـة القشـاعم
واورد مجــاهل هــذه الا كوان واضــحة المعـــالم

***

حطمت قيـــــدك فانطلق فى حلبــة العمـــل العظيم
واســتغن بالعــز الطـريف عن التغنى بالقــــديم
ان لم تجـــــل عن الرميم بنهضـــــة تحيى الرميم
ما أنت بالخلف الــــكريم لذلك الســلف الــكريم

***

شر العروبة هاتفـــــا	بحينـــاتها ودرمــــ
ــد يمين الحب	بالبنانهـــا لشــــ مه
انظـــروا الى تاريخهـــا	ينبئك عن أيامهـــــا
هــــــذا التراث يمت	معظمــــه الى أســلامها
مـــالى أراك برئت من	دمهـــــنا ومن أوطانهـــا
أنســــــيت أنك ليث	نهضتهـــا ونسر بيانهـــا ؟
أتقول لست من الشـــام	وأنت فى أحضــــــانها ؟
أتشـــهد ناطحـــة النجـوم	وأنت من أركانهـــــــا

***

هــلا ذكرت فتـــوحهم	بالمشرفـــين والقلـــم ؟
ايام هزوا للعلا والعـــــ	ـلم فى القـــــرب العلم
جمعوا الذكاء الى الوفـــ	ـاء الى الاباء الى الشمم
قهروا العدا نشروا الهدى	رضعوا الندى بدعوا الكرم

***

قل لى بربك هل ربحـــ	ـت من الغريبسوى المحن؟
وفـــروغ جيبك واليـــ	ـدين وقتل روحك والبدن
كانت تدر الشهد أرضــــ	ـك والســلافة واللبن
فغـــدا الوقوف على ربو	عك كالوقوف على الدمن

***

سر فى فتوح الخـــالد	ين وطر الى اقصى مطارك
قبس الهداية فى يمينـــ	ك والعـــدالة فى يسارك
ظل لابســــــا اكليل غا	رك رافعـا علم انتصـارك
وتحيب الفضـلاء فنـــاء دا	رك والعـــوالم باب دارك



من بعد صمت فوق دجلة خيما ... شاء الدم المبحوح ان يتكلما

ارغى وازبد فوق دجلة صارخا ... يا نهر لولا موجتى ذقت الظما

ماءان فى الدنيا غدير ضاحك ... ودم اذا ناح الغدير ترنما

فصخورنا لولا دماء صدورنا ... لم تنبجس ماء يسيل مكرما

نصبب على قمم اللهيب جراحنا ... تدعو الى القمم النسور الجسما

جرح عفيف النور صوفى السنا ... يرجوه طهر نزيفه ان يرسما

فالتم يلهث فى الصدور كأنه ... شفتا رضيع هاله ان يفطما

يحنو عليه المجد يحضن نوره ... أرأيت فى الحضن المسيح ومريما؟

قف يا لهيب المعتدين مسمرا ... انفاسنا الحرى تخيف جهنما

آن انطفاؤك يا لهيب المعتدي ... فعيوننا البحر الذى لم يقحما

ولنظرة المظلوم انفد رمية ... مهما تبرم ظالم وتجهما

أو لم تسد على العراق نوافذ ... أو لم يسد عن النسيم مكمما

منعوا اختيال الشمس فوق ربوعه ... ونفوا طواف البدر عنه محوما

وسقوه من ماء الفرات مرارة ... ودعوا النخيل بأن يقاطعه فما

فشبابه انضاء عزف سابغ ... يطوون اشلاء العذاب تبسما

السجن متصل على اوصالهم ... فاذا انتهى عاد السجين ليحكما

عطش ويملأ كأسه من قلبه ... من شبه الامواج لا يشكو الظما

القحط يا سجان حولك رابض   والروض فى السجن المفتح برعما
هذا العراق سجونه جنباته   وعليه ثورته تدفق أنعما
زحف تلاطم بالصدور مغيظة   قصر الرحاب تهزه فاستسلما
فانهار كوخا قاذفا من جوفه   جثث العبيد تجر عمرا اسحما
عبد الاله بيأسه وعتوه   اضحى على كف الصغار مكوما
نورى السعيد رجولة مابالة   لف الرجولة بالملاءة واحتمى
فاذا الجبابرة الذين ترفقوا   سقطوا على اقدام جندهم دمى
ياليل حدث عن جنود مزقوا   غما على بغداد كان مخيما
هب الصباح يطير من راحاتهم   ليهد بالاضواء عهدا مظلما
بغدادا عدت الى الشباب فغردى   وثبى أهازيجا وضجى مبسما
بغداد نادينا فقد ذبنا جوى   لم يبق الا ان نمد المعصما
عاد اللقاء السهل نهبى حلوة   لا قيد يمنع خطوتي ان تقدما
الارض ملك خطاى ما بغداد   ماعمان ما بيروت حتى احجما
انا على الايام شهد طيب   حتى يكاد لنا فنغدو علقما



مناقشات

وعقب انتهاء الكلمات ..

وفى جو ملؤه الاخلاص والتجاوب ، والحرص على الصالح العام، دارت المناقشات الآتية :

قال السيد الوزير :

وردت أسئلة كثيرة من أبناء الاقليم الشمالى يطالبون فيها بعقـد مثل هذه الندوات .

وانى أعدهم بأننا سنكثر من أمثال هذه الندوات ، لا فى دمشق وحدها ، وانما فى سائر مدن الاقليم .

ويطلب البعض اقامة المعسكر الكشفى العربى مرة كل سنة لامرة كل سنتين .

وانى اضـم صوتى للشـباب الكشفى العربى فى هذا واطلب من المشرفين فى جامعة الدول العربية تنظيم هذا المعسكر ليعقد دورة كل عام . وسأحاول جهد طاقتى أن أؤيد هذه التوصية بمشيئة الله

وقد وردت أسئلة كثيرة ، ولا أظن أن الوقت سيتسـع للاجابة عليها جميعها . وسيتفضل الزملاء مشكورين بالاجابة على بعضها .

ثم بدأ السيد وزير التربية والتعليم بالجمهورية العراقيةبالاجابة فقـال :

***

السؤال الاول : متى تأمرون بأن نسترد فلسطين ؟ ونحن على أتم الاستعداد للفداء ؟

الاجابة : ان معركة فلسطين قائمة الآن ونأملُ أن تصل جحافلكم قريبا الى « قبية » لنطل على « حيفا » و « تل ابيب »

***

السؤال الثانى : اذا حسين سلم أو حاول تسليم الضفه الغربية من الاردن الى اسرائيل فما موقف الدول العربية من ذلك ؟

الاجابة : انه لن يستطيع تسليم أى شبر عربى الى اسرائيل أو غير اسرائيل ، لانه اذا استطاع أن يساعده الحظ فلينج بنفسه وليترك هذه البلاد الى أهلها .

***

السؤال الثالث : هل اعترفت الدول الاجنبية بدولتكم اعترافا تاما ؟

الاجابة : لقد خضعت جميع الدول المعادية الى الواقع الطبيعى الحقيقى ، واعترفت الدول الصديقة بهذا الواقع ، وأصبحت الجمهورية العراقية أخت الجمهورية العربية المتحدة سائرة فى طريق تحقيق الوحدة الشاملة .

***

وجاء دور السيد وزير الاوقاف .

السؤال الاول : مع الاحترام يسألنى صاحبه عن صحة الصلاة فى اللباس الكشفى

الاجابة : استطيع أن احيل السؤال على المفتى الاكبر فى الاقليم السورى أو على الاستاذ الشيخ المبارك وهو معنا هنا فى هذه الندوة ، لان مذهبى كمالكى ، أن الصلاة فى اللباس الذى لايكشف ما يسمى عورة لا بأس بها . ولا اظن أن الباس الكشفى فيه مايشين المصلى فلا بأس أن يؤدى الصلاة فيه خير من أن لايؤديها .

***

السؤال الثانى : ما المقصود بكلمة استغلال الدين ؟

الاجابة : اعتقد اننى قد كفيت الاجابة على هذا السؤال فقد

تفضل بها أخونا وصديقنا الكريم السيد رشيد سليم الخورى فى قصـيدته الكريمة وقـد اجاب على السـؤال من حيث لا يقصـد وبهذه المناسبة يسعدنى أن أسجل تحية فى هـذا الحفل الكـريم لاخينا السـيد رشيد الخورى مأثرة لايعلمهـا أكثر الناس وليس فقط كثير من النـاس ، فقد أرسل الى وهو فى مغتربه مايساوى مائتى جنيه وأربعة ليرات سورية تبرعا فى أسبوع تسليح الجيش المصرى . وأنا حين أذكر ذلك خيرا أراه ، فأرجو أن نشترك جميعا فى تحيته على هذا الصنيع الجميل .

ولو أننى رحت أجيب عن الاسئلة فالاوراق كثـيرة كما ترون .

ولذلك سأكتب الى بقية الذين تفضلوا بسؤالى خطابات شخصية وسيكون البريد على حسابى الخاص وشكرا .

***

ثم قال الاستاذ محمد الحريرى :

يطلب منى السـيد محمد جلال أن أرسل اليـه بالقصيدة التى ألقيتها فأنا رهن اشارته متى أراد ، فقط عليه أن يعرفنى بنفسه لاننى لا أعرفه هنا فى هذا الازدحام الغامر .

أيضا السيد خالد اللحام يطلب منى أن يتعرف على . فأنا أكثر ما أقيم فى مقهى الهافانا والبرازيل .

***

وقال الدكتور سليمان حزين :

مجموعة من الاسئلة وجهت الى خاصـة بواجب الشباب العربى حيال القومية العربية الصاعدة ، وما هو المعنى الشامل اللى ينبغى أن توجهوه لكل منا فيما يخص واجبنا نحـو هذه القومية الصاعدة ؟ وما هى الاعمال التى تعتبرونها من مقومات نهضتنا القوية ؟ وطائفة أخرى من الاسئلة تدور كلها حول هذا المعنى .

واذا أراد المرء أن يوجه نصيحة موجزة في قالب محدد فقد تكون هذه النصيحة بالنسبة للشباب أن يقرأ أولا كتاب فلسفة الثورة ، هذه الثورة كما رسمها زعيمنا وأخونا الاكبر في العروبة الرئيس جمال عبد الناصر . ليست ثورة فرد ولا مجموعة من الافراد ، وانما هي ثورة جيل بأكمله وليست ثورة يوم ولا شهر ولا سنة ولا سنوات محدودة ، وانما هي ثورة العروبة في عهدها الجديد . هذه الفلسفة الجديدة التي رسمها القائد الفيلسوف تهدف كما ذكرت الى تغيير رأينا في الاصلاح والبحث عن مصادر القوة في الامة العربية لبعثها من جديد ، فاذا ما طبقنا هذا المبدأ الفلسفي على الشباب ، فان النصيحة التي أتقدم بها للشباب هي أن يحاولوا أن يكونوا مواطنين صالحين ، والمواطن بحق هو الذي يحاول دائما في كل لحظة من حياته أن يعطي أمته أكثر مما يأخذ منها. فليحاول كل منكم في كل لحظة أن يفكر في أمته ، وفي أن واجبه أن ينقذ الجيل الجديد ، وليقضي على أدران الماضي ، وأن تكون فلسفته في الحياة العطاء للامة قبل الاخذ منها . فان الضعف الذي أصابنا في الماضي ، والانحدار الذي تردينا فيه أيام الاستعمار انما جاء لان كل واحد منا كان يحاول أن يأخذ قبل ان يعطي ، وأن يأخذ أكثر مما يعطي . هذه الفلسفة يجب أن تتغير .

والشباب يجب أن يكون رائد الجيل في هذا العمل ، فهو الذي يربي نفسه على العطاء قبل الاخذ ، وعلى العطاء أكثر من الاخذ . هذه نصيحتي لكم في قول مجمل والله يوفقكم .

***

ثم قال السيد الوزير :

هنا سؤال : هل سنعود الى فلسطين ؟

الاجابة : اننا سنعود الى فلسطين . سنعود اليها وستتحرر

مثلما تحرر كل قطر من الاقطار العربيـــة التى كان لا يظن ، أكثر الناس تفاؤلا ، انها سوف تتحرر بهذه السرعة .

اننـا سنعود الى فلسطين بمثل السرعـة التى تحررت بها هـذه الاقطار ، وسوف نعتمد على نفس السلاح الذى تحررت به .

فى مصر ، كان هناك كثيرون يقولون ان الانجليز لن يخرجوا منها قط ، وأن مصر لا يمكن ان تتحرر من الاستغلال الذى كان موجودا بها ، والسيطرة التى كانت مفروضة عليها . وكانت كل العـوامل تشير الى ذلك . ومع هذا تحررت مصر ، وتحررت سوريا .

وكنا جميعا نشفق على العراق الحبيب . كلنا كنا ننتظر هــذا اليوم الذى سوف يتحرر فيـــه العراق . وجاءت ثورة العراق ، وتحرر العراق أكثر من السرعة التى كان يظنها الكثيرون . هـــذه الروح التى حررت الاقطار العربية ، المستقلة الآن ، والتى كسبت هذه الانتصارات الكثيرة التى انتصرناها للآن فى هذه الفترة الوجيزة من تاريخ حياتنا ، هى التى ســـتعيدنا الى فلسطين ، وهى التى ستجعلنا نحرر الاردن ، ونحرر الجزائر ، ونحرر كل شبر من أرض العرب يطؤه قدم أجنبى فى بلاد العرب .

أما الاسئلة الكثيرة عن واجبات الشباب لتدعيم القومية العربية والنهوض بالقومية العربية ، فالشباب أنفســهم هم المطالبـون بأن يجيبوا على هذا السؤال . وأوصيهم مرة أخرى بأن يستذكروا هذه الفترة القصيرة الماضية من حياتنا ، ويروا كيف كانت انتصاراتنا ، وما هى العوامل التى ادت الى هــذه الانتصارات ، ويترسموا خطى هذه الانتصـــارات ويتعلموا كيف يرسموا لانفسهم مثل هـــذه الانتصارات فى المستقبل ، وسيجدون الايمان والقوة ، والفـداء ، فداء الانسان بحياته ، وبشخصه ، فى سبيل أمته ، تلك هى السبيل الى تدعيم انتصاراتنا وكسب انتصارات فى معارك نخوضها لعـزة

عروبة ، انتصارات جديدة لكى نصل الى القمة ، فقد بدانا من أول طريق ، ونحن الآن فى الوسط وسوف نصل الى القمة بايمان الشباب وبايماننا ، ونعمل لوطننا قبل أن نعمل لاشخاصنا ».

هناك عدد كثير من الاسئلة لن يسمح المجال بالرد عليها ، وانا نعد اخواننا السائلين بأن نرد عليهم بردود خاصة على عناوينهم المكتوبة ، ونشكر للسادة المستمعين والسادة المتحدثين حسن استماعهم وحسن اسئلتهم للسادة الزملاء المحاضرين .

واشكر بالنيابة عن جمهور الشباب وعن السادة المواطنين اخوانى المحاضرين وأتمنى أن نلتقى كثيرا مثل هذا اللقاء وان ننجح مثل هذا النجاح الذى نجحناه فى ندوتنا هذه ، وانى على يقين من اننا نجحنا نجاحا كاملا فى أن التقت نفوسنا جميعا والتقت مشاعرنا جميعا نحو هدف واحد ونحو غاية واحدة ونحو أمل كبير سوف نصل الى تحقيقه باذن الله .

والسلام عليكم ورحمة الله .



مقالات

في القومية العربية



الشعر هو منشئ القومية العربية أولا .. وهو الذى شارك فى تكوينها وتقويتها بعد أن كونها القرآن . والادب هو الذى أتاح لهذه القومية العربية أن تنمو وتزكوا وتملأ الارض علما وثقافة ونورا ، فواجب الادب بالقياس الى القومية العربية هو أن يكون وفيا لهذه القومية ، يؤدى ما كان يؤديه فى العصور الاولى وما زال يؤديه فى هذا العصر ..

اللغة أداة الوحدة

وموضوع الحديث الذى أريد أن أشرف بالقائه الآن : هو تأثير الادب فى تقوية القومية العربية وتنميتها بعد أن كونها الاسلام ، وتأثير الادب فى محاولة تكوينها قبل ظهور الاسلام ..

والواقع أن الامة العربية من شمالها الى جنوبها ، ومن شرقها

* من حديث له فى مؤتمر أدباء العرب عام ١٩٥٧ بمدينة القاهرة

الى غربها ، كانت فى العصر الجاهلى مختلفة اشد الاختلاف : قوام حياتها الخصام والعدوان والغارات والنهب والسلب ، ولم يكن يجمعها فى هذا العصر الجاهلى الا لغتها ، على اختلاف شديد فى لهجات هذه اللغة ، وانما الذى استطاع أن يؤلف شيئا من بين هذه القبائل المتفرقة هو الشعر الذى لم يكد ينشأ حتى فرض لهجة بعينها على الامة العربية كلها فى جميع أطرافها وأقطارها من الجزيرة العربية ، فكان الشاعر العربى اذا أنشأ قصيدة وأنشدها فى ناد من الاندية ، فهمها عنه الناس مهما تكن لهجاتهم أو لغاتهم الخاصة .. ثم لم يكتفوا بفهمها وانما كان الرواة يتناقلونها عن الشاعر ، وكانت القصيدة لا تكاد تنشد حتى تشيع فى الجزيرة العربية ويحفظها كثير من الرواد فى الاقطار المختلفة من أقطار الجزيرة .

فأول توحيد للعقل العربى انما جاء من هذه الناحية .. من هذا اللسان الذى أتاح للغة العربية فى العصر الجاهلى أن تكون لغة اجتماعية ، وأن تكون لغة تستطيع القبائل — على تباعدها واختلافها وخصومتها — أن يفهم بعضها عن بعض ، وأن يشعر بعضها بما يشعر به بعضها الآخر .. فالمكون الاول فى المحاولة لايجاد وحدة لهذه القبائل العربية ، انما هو الادب ، والشعر من الادب بنوع خاص ، لانه هو الذى سبق الى الوجود ولم يوجد أخوه النثر الا بعد عصور تطاولت قليلا ..

محمد بانى القومية العربية

والقومية العربية ، اذا أردنا أن نعرف متى تكونت بالمعنى الدقيق لكلمة القومية ، فينبغى أن نرد هذا الى ظهور الاسلام ، فالمكون الحقيقى للوحدة العربية بجميع أنواعها وفروعها : الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية أيضا ، انما هو النبى صلى الله عليه وسلم .. هو الذى جاء بالقرآن ودعا الى الحق واجتمع حوله الأقلون من أصحابه . وجعل الاقلون يكثرون شيئا فشيئا حتى كانت الهجرة ، وحتى أسست أول مدينة اسلامية أو بعبارة أدق ، أول مدينة عربية منظمة عرفها التاريخ . ولا اذكر اليمن القديمة ،

لانى لا اكاد أعرف من حضارتها ونظمهـا شيئـا ، وانمـا المدينة الاولى التى عرفها التاريخ ، والتى تكونت فيها النواة الاساسـية للقومية العربية هى مدينة « يثرب » بعد أن هاجر النبى اليها مع أصحابه من « قريش » . ومن هذه الوحدة الضئيلة الصغيرة فى هذه المدينة التى لم تكن خالصة لاهلها من العرب وانما كان اليهود يشاركونهم فيها — من هذه الوحدة الضئيلة اليسيرة التى كان من أيسر الاشياء أن يتخطفها العرب من حولها ، لولا أن الله أيد رسوله وأيد المدينـة برسوله من هـذه الوحدة ، جعل الاتحاد العربى ينمو قليلا قليلا : باللين حينا وبالعنف والشدة حينا آخر .. ولم ينتقل النبى الى جوار ربه الا وقد تمت وحدة الجزيرة العربية ، ووجدت قوميـة عربية منظمة لها قانونها وهو القرآن ، ولها نظامهـا السياسى الذى يقوم على ما دعا اليه القرآن من العدل والانصاف والمسـاواة بين الناس ، ولها حكامها المنظمون والمنظمون أيضا ، الذين لا يستأثرون على أحد ولا يؤثرون أنفسهم بخير ، وانما هم خدم للامة العربية : ينشرون بينها العدل ، ويعلمونها شرائع الدين ، ويهيئونهـا لاداء واجبها الانسانى العظيم .

نماء القومية

وبعد أن أتم النبى توحيد الأمة العربية ونهض خلفاؤه من بعده ، جعلت هـذه القومية العربية تتجاوز الجزيرة العربيـة الى الأقطار الاخرى ، وأول هذه الاقطار التى انتشرت أو التى تجاوزت العروبة جزيرتها اليها ينبغى أن نلاحظ أنها كانت أقطارا قد استعربت شيئا ما فى العصر الجاهلى . فأول ماخرج العـرب من جزيرتهم فاتحين يريدون أن ينشروا الاسلام ويدعوا الى دين الله ، ذهبوا الى العراق والى الشام .. وكان الشـام قد استعرب قبل الاسـلام ، لا على الحدود بينه وبين الجزيرة العربية فحسب ، حيث كان الغسانيون يقيمون ، بل الى داخل البـلاد الشاميـة ، وكانت بعض القبـائل العربية قد انتشرت فى الشـام قبل الاسلام ، وتأثرت بالحياة التى

كان الناس يحيونها فى هـذا القطر ، وهى حيـاة الروم ، وتدينت بالدين الذى كان الروم يدينون به ، وهو النصرانية . والعراق كان أيضا قد سبق اليه العرب فى الجاهلية وتأثروا الى حد ما بالمسيحية التى جاءتهم من الجزيرة ، وتأثروا الى حد ما بسياسـة الفرس ، الذين ذهبوا الى العراق والى الشـام . وكان العرب حمـاة لحدود الامبراطورية الرومانيـة فى الشـام ، وحماة لحدود الامبراطورية الفارسية فى العراق .

ولم يكن الفتح الاسـلامى فى أول أمـره الا يسيرا عنـدما التقى بالعناصر المستعربة فى الشام وفى العراق ، ولكن عندما اهتم الفرس من جهة ، واهتم الروم من جهـة أخرى بهـذا السيل الذى جعل يتدفق على الشام والعراق ، أصبحت القومية العربية أمام واجب خطير ، هـو أن تقف موقف الخصومة والنزاع من هاتين الدولتين العظيمتين : الامبراطورية البيزنطيـة فى الشـام ، والامبراطورية الفارسية فى العراق .

هنا انتصرت القومية العربية فى هذين القطرين ، فى الشـام وفى العراق ، ولكنهـا لم تقف عند هـذا الحد وانما تجاوزته الى بلاد لم يكن لهـا بالعروبة عهد من قبـل ، تجاوزتها الى مصر فى المغرب ، وتجاوزتها الى الفرس والبلاد الفارسية فى المشرق ، وانتصرت على الروم فى مصر كما انتصرت على الفرس فى بلادهم وأدالت دولتهم ، ثم انتصرت على الروم بعـد ذلك فى شمال افريقيـة ، واستقرت العروبة فى شمال افريقية بعد خطوب شداد ، ثم تجاوزت افريقية الى القارة الثالثة التى لم يكن العرب يعرفونها قبل الاسلام ، وهى القارة الاوربية ، ففتحت الاندلس واستقر العرب فى أسبانيا كمـا استقروا فى أفريقية وكما استـقروا فى شرق الدولة الاسلامية فى بلاد الفرس ووصلوا الى أطراف الهند .. منذ ذلك اليوم تعقدت القومية العربية .. لم تصبح أمة تعيش فى وطنها الذى نشـأت فيه خالصا لها هذا الوطن ، وخالصة هى لهذا الوطن ، وانمـا أصبحت أمة تجاوزت وطنها وبيئتها ونزلت الى أوطان وبيئات لم تكن تعرفها هى ، ولم تكن هـذه الأوطان والبيئـات تعـرف عنهـا الا الشىء القليل ..

وأغرب ما تمتاز به هذه القومية العربية ، هو أنها عندما استقرت في هذه البلاد التي افتتحتها وحاولت أن تستقر فيها ، عندما أتيح لها هذا النوع من الاستقرار ، لم تكتف به ، ولم تكتف بأن تستقر في الشام حكومة متسلطة ، أو في العراق حكومة متسلطة ، أو في بلاد الفرس كذلك ـ لم تكتف بامتلاك الأرض ، ولم تكتف باخضاع الناس للسلطان ، لأنها لم تكن تريد أن تملك الأرض ، ولم تكن تريد أن تخضع الناس بسيطرة سياسية فحسب ، وانما كانت غايتها قبل كل شيء ـ أن تملك القلوب وأن تسيطر على الضمائر وأن تدخل في أعماق الوجدان في البلاد التي تفتحها وتستقر فيها ، وبشرط أن يكون هذا كله دون اكراه أو عنف . واذن ينبغي أن يأتي هذا بطبعه من نفسه من غير محاولة عنيفة ، بل من غير محاولة في أكثر الاحيان .. فبعد أن غلب المسلمون ، لم يفرضوا على بلد من هذه البلاد لغتهم ، ولم يفرضوا عليها دينهم ، لأنهم اكتفوا منهم بالأصول التي قررها الاسلام ، وهي : الاسلام لمن أراد أن يسلم عن رضى ، أو أداء الجزية .

لا اكراه في الدين

والغريب أن هؤلاء العرب الذين كانوا يطمحون الى حكم الاسلام ، ويطمحون الى أن يصلوا الى أعماق القلوب والضمائر والوجدان دون اكراه ودون أي محاولة للاكراه .. الغريب أنهم ظفروا بكل ما كانوا يريدون في أيسر اليسر وأسهل السهل ، فلسنا نعرف أن أحدا أكره أحدا على أن يسلم بعد الفتح ، وانما الذي نعرفه هو أن كثيرين من المغلوبين مثلا كانوا يريدون أن يسلموا وكان بعض الولاة من بني أمية يكرهون منهم ذلك ، مخافة أن تنقص الجزية ، ومخافة أن ينقص ما كان يجب أن يرسلوه الى دمشق من الخراج . وكان كثير من المصريين يحاولون الاسلام ، وكان امراؤهم وولاتهم يأبون عليهم الاسلام ...

ومن اجل هـذا كتب عمر بن عبد العزيز الى بعض ولاته يقـول « انما أرسلتم مبشرين لا جباة » .

اذن فقد أسرع الاسلام الى القلوب والعقول والضمائر والوجدان، ثم لم يسرع الاسلام وحده ، فالاسلام انما هو مشتق قبل كل شيء من القرآن ، ومن حديث النبى ، فالقرآن عربى ، وحـديث النبى عربى . والذين يسلمون ويستطيعون أن يتعلموا الاسـلام دون أن يعرفوا العربية لم يكونوا يكتفون بأن يعرفوا قواعد القرآن وأصوله، وانما هم فى حاجة الى أن يؤدوا هـذا الفرض الأساسى من فرائض الاسلام وهو الصـلاة ، وهم فى حاجـة الى أن يعرفوا أصل هـذا الاسلام وهو القرآن ، فما أسرع ما انتشرت اللغة العربية بينهم ..

واغرب من هذا كله ، أن قرنا وبعض قرن قد مضي بعد الفتح ، واذا هذه البلاد التى فتحت والتى بقى فيها أهلها ، أسلم من أسلم منهم، وبقى على دينه من بقى موهم على دينه ـ اذا هذه البلاد قد اخذت تتعلم العربية وتتقنها ، سواء منهم المسلم أو غير المسلم ، وربماكان غير المسلمين أشد حرصا على تعلم اللغة واتقانها .

وفى نصف القرن الأول ـ أى قبل أن يمضى نصف قرن على فتح الفرس مثلا ـ كان بعض الفرس قد أتقنوا العربية وبرعوا فيهـا وأخذوا ينافسون العرب فى الشعر العربى نفسه ، ووجد فى أيام بنى أمية شـعراء يقولون الشعر كأفصح مايكون الشعر فى اللغـة العربية ، وأصـولهم فارسية لم يعرفوا اللغـة العربية الا بعد أن أسلموا وبعد أن قاموا مجاورين للعرب فى بلادهم أو فى جزيرةالعرب نفسها !

العربية لغـة الجميع

ولم يكد القرن الثانى ينتهى حتى ننظر الى القومية العربية فنرى عجبـا من العجب ، نرى مهـد القومية العربيـة قـد هجر أو كاد يهجر ، ونرى الجزيرة العربيـة قـد عادت الى بداوتها القديمـة ، وظلت المدينة ومكة محتفظتين بما كان يدرس فيهما من الدين والعلم

ولكن البيئات القديمة البدوية فى نجد عادت الى بداوتها وعادت الى شيء كثير من عزلتها القديمة وكادت الصلة تقطع بينها وبين البلاد الأخرى ، واذا القومية العربية ليست فى الجزيرة العربية وحدها ، وانما هى قبل كل شيء فى هـذه البلاد التى فتحت ، والتى امتزج فيها العرب بغيرهم من سكان البلاد الاصليين .

استعراب الأعاجم

ومعنى هذا خطير كل الخطورة ، فهـؤلاء السكان كانوا يتكلمون لغات مختلفة جدا .. وكان الفرس يتكلمون لغتهم الفهلوية ، وكانت للشام لغات سامية ، وكذلك فى العراق وفى الجزيرة ، وكان المصريون يتكلمون لغتهـم القبطية ، وكانت لغة الثقافة والسياسة فى البـلاد الشامية والمصرية هى اللغة اليونانية ، ولغة السياسة والثقـافة فى العراق وبلاد فارس هى اللغة الفارسية ، ولغة الثقافة والسياسة فى شمال أفريقية وفى أسبانيا هى اللغة اللاتينية .

وننظر فى أواخر القرن الثانى ، فاذا كل هذه اللغات قـد تركت أماكنها من ألسنة الناس وعقولهم وقلوبهم لهذه اللغة العربية .. فالفرس يتكلمون العربية ويكتبونها ، ويزاحمون العـرب أنفسـهم فيزحمونهم ، واذا الفرس هم الذين يضعون كتب النحـو العـربى واصوله ، واذا هم يعنون بجمع اللغة العربية وتدوينها ويشاركون العرب فى هذا كله ويغلبونهم عليه أحيانا ، واللغات السامية التى كان الناس يتكلمونها فى سـوريا ويتكلمونها فى الجزيرة ويتكلمونهـا فى العراق ، عادت كلها الى الاديرة ، وأصبـح الناس يتكلمون اللغـة العربية ، واللغة العربية بطبيعتها أصبحت لغة السياسة مادام الحكام عربا ، ولكن اللغة السياسية هذه التى يتكلمها الناس لم تلبث أن أصبحت لغة للثقافة والعلم أيضا ..

واذن هناك قومية عربية جديدة أنشأها الاسلام ، لم تكن تأتلف من عنصر عربى خالص ، وانما كانت تأتلف من جميع هذه العناصر التى رأيتموها ، من العنـاصر التى كانت تسكن كل هـذه البلاد . فأنشأ الاسلام اذن أمة جديدة ، وجعل هذه الأمة عربية ، عربيـة

اللغة وعربيـة التفكير والشعور ، عربيـة الحضارة وعربيـة العلم والثقافة والأدب .

قوة اللغـة العربية

ومن غريب الظواهر الأدبية التى تلاحظونها فى حياة هذه القومية الجديدة التى أنشـأها الاسلام ـ والتى ألغى فيهـا الفروق بين الأجناس ، وألغى فيها أن يكون لعربى على أعجمى فضل الا بالتقوى ـ من أغرب الظواهر التى ترونهـا أن الشعراء الذين استأثروا بالشعر وامتازوا فيه ، وأصبحوا هم السنة الأمة العربية بمعناها الجديد ، لم يكن منهم شاعر عربى خالص .. كان بعضهم فارسيا وبعضهم نبطيـا وبعضهم يونانيـا .. لم يكن منهم شاعر عربى خالص ، وانما كانوا جميعا من هذه الأمم التى استعربت واعربت عن شعورها القديم وعن عقولهـا القديمة وعن وجدانها القـديم فى الشعر العربى والعقل العربى والوجدان العربى .

وكانت اللغة اليونانية قـد سادت فى الشرق الذى نسميه الآن بالشرق العربى ، وبنوع خاص فى مصر والشام والجزيرة ، ولكنها لم تستطع أن تمحو هذه اللغات الوطنيـة ، فظل المصريون يتكلمون لغتهم القبطية ، وظل أهل الشام يتكلمون لغتهم السامية الآرامية ، وظل أهل الجزيرة والعراق كذلك .

وكانت اللغة اللاتينية سـائدة فى شمال أفريقية وفى أسبانيـا ، ولكنها لم تستطع أن تقهر لغة البربر فى شمال افريقية ، ولا أن تقهر الاسبانيين على أن يتركوا لغتهم الوطنية الأولى .

ولكن اللغة العربية جاءت فقهرت اليونانية وقهرت معها اللغـات الوطنية أيضا ، وقهرت اللاتينية فى المغرب وقهرت معهـا اللغـات الوطنية أيضا ، وقهرت اللغة الفارسية أربعة قرون تقريبا .

كلّ هذا ان دل على شىء فانما يدلكم على قوة اللغة العربية وقوة الطبيعـة العربيـة ، وقوة هذا الدين الذى كان هو العامل أو المؤثر

الأول فى انتشار العرب خارج جزيرتهم ، ثم فى تكوين هذه الأمة العربية الجديدة ..

ومن المحقق أن البلاد التى يتألف منها العالم العربى الحديث لايمكن أن تكون مؤلفة حقا من عناصر عربية خالصة تنسب الىعدنان وقحطان ، وانما هى عربية بلغتها ، عربية بشعورها وعقلها ووجدانها ، وعربية بدينها ، سواء أكان هذا الدين اسلاما أم كان نصرانية . هى عربية بهذا كله .. اثرت العروبة على غيرها . وأصبحت أمة عربية جديدة كونها الاسلام دون اكراه أو ارغام أو عنف ، فتكونت بهذه الوسيلة وبهذا اليسر ..

مزايا القومية العربية

وأخص مزايا هذه القومية العربية أنها حرة متسامحة ، وأنها مفتوحة الأبواب لا مغلقتها ، وأنها متعاونة مع الذين يحبون أن يتعاونوا معها ، فهى قد قبلت الثقافات الأجنبية فى عصورها الاسلامية الأولى .. قبلت ثقافة الهند والفرس واليونان ، وقبلت كثيرا جدا من الثقافات السامية القديمة ، ومن ثقافة المصريين القدماء .. قبلت هذا كله واساغته وجعلته عربيا ، ثم لم تكتف بهذا ولم تستأثر به من دون الانسانية المتحضرة ولكنها جعلت تنشر ما تستطيع أن تنشره من هذا كله فى الشرق والغرب جميعا ، فأثرت بثقافاتها العربية الجديدة فى الشرق ، فى الهند وفى بلاد الصين وأثرت بثقافتها العربية الجديدة فى أوروبا فى الغرب .. وفى أوروبا لم تؤثر بعلمها وفلسفتها فحسب ، ولكنها أثرت بعلمها وفلسفتها ، وأثرت بشعرها أيضا ، وهى التى علمت الشعراء الفرنسيين فى القرون الوسطى أن يقولوا ذلك الشعر الذى كانوا ينتقلون به بين المدن فى فرنسا .

هذه هى القومية العربية ، كونها أو حاول تكوينها الشعر أول الأمر ، ثم كونها القرآن آخر الأمر ، ثم جعلت تفرض نفسها فى غير عنف ولا اكراه على العالم القديم حتى احتلت مكانة الامبراطورية الرومانية ، واحتلت مكان الدولة الفارسية . وهى الآن بعد أن عدت

عليها الخطوب ، وبعد أن ألحفت عليها الكوارث ، وبعد أن ألح عليها الترك بنوع خاص فى عصور مختلفة من حياتهم ، وبعد أن اضطرت الى الخمول والى الضعف ـ ظلت على الرغم من هذا كله محتفظة بقوميتها ، محتفظة بلغتهـا وعقليتها وشعورها وكل مايميزها .. ظلت محتفظة بهـذا كله . وقد عرضت لهـا الخطوب المختلفة ، فانقسمت وانفصل بعضها عن بعض ونشأ فيها دول ، برغم هـذا ظلت واحدة .. واحدة فى الشعـور ، وواحدة فى التفكير ، وواحدة الآلام ، وواحدة فى الآمال .

الادباء هم رواد النهضات

وصدقونى ولا تظنوا أنى أريد أن أغركم عن أنفسكم ، ان كانت الأمة العربية قد أخذت الآن تنهض وأخذت تعرف نفسها ، وأخذت تعرف حقوقها وتعرف واجباتها فالفضل فى هذا كله انما يرجع الى الأدب والى الأدب وحده .

ما الذى أنشـأ النهضـة الحديثة فى هذه البلاد العربية ؟ هـو انها التقت بالغرب ، وعرفت حيـاة غريبة لم تكن تعرفها .. كان الترك العثمانيـون قـد قطعـوا كل صـلة بينهـا وبين العـالم الخـارجى ، فلـم تكـن تعـرف الغـرب ولا تكاد تسـمع به ، وكاد الغـرب هـو نفسه أن ينسـاها ، حتى اضطـرت بمقتضى الحوادث التى حدثت فى أواخر القرن الثامن عشر وفى القرن التاسع عشر الى أن تعرف أوربا فرأت ألوانا من الحياة جديدة ، وأرادت أن تعرف من هذه الحياة شيئا ، فجعلت تتعلم اللغات الأوربية ، واذا هى تعرف المطبعة ، ولم تكد تعرف المطبعة حتى ذكرت أن لها كتبا قديمة مكدسة فى المساجد وفى الكنائس والاديرة ، واذا هى تأخذ فى نشر هذه الكتب ، وكان احياء الأدب العربى القديم بفضل المطبعة، وكان الاتصال بالحياة الغربية الحديثة ..

ضمن هذين التيارين نشأت ثقافة جديدة فىهذه البلاد العربية . ومن الذى أنشأها ؟ هؤلاء الافراد الذين تعلموا والذين كانوا يقرأون

الكتب القديمة وينشرونها ويتعلمون اللغات الحديثة ويترجمون منها والذين كانوا يذيعون العلم والأدب فى بلادهم وفى البلاد المجاورة . ومن هؤلاء القوم ومن هؤلاء الناس ؟ أنهم هم طليعة الأدباء المعاصرين .

وثقوا أيها السادة أن هذه النهضة ما كانت لتشب وما كانت لتؤتى ثمرتها وما كانت لتنشأ عنها هذه الدول الجديدة وهذه الحياة العربية الجديدة ، لولا المثقفون والأدباء ، سواء منهم الشعراء والناثرون . لولا هؤلاء ، مانهضت البلاد العربية .

والأغرب من هذا ، أن كل الأحداث الكبار التى نشأت عن هذه النهضة وما حدث فى البلاد العربية على اختلافها من هذه الأحداث التى هزتها ، ومنها الثورة العرابية فى مصر ، والثورة التى نحياها الآن فى مصر ، والثورة على الفرنسيين فى الشام وفى الجزائر ، وعلى الانجليز فى العراق ـ الشىء لذى أستطيع أن أؤكده لحضراتكم وأنا مطمئن الى أنى لا أتجاوز الحق ـ هو أن كل هذه الأحداث انما انشأتها الثقافة وانشأها الأدب ، والمؤسسون الحقيقيون لكل هذه الثورات انما هم الأدباء والكتاب والشعراء ولا شىء غير هؤلاء .

الادباء هم الذين احسوا الآم الشعوب ، وهم الذين صوروا هذه الآلام ، وهم الذين أشعروا الشعوب بحقوقها وعلومها وواجباتها ورسموا لها طريقا الى مثلها العليا ، وهم الذين سبقوا الى آمال هذه الشعوب فصدروها وزينوها وحببوها الى الشعوب . والذين قاموا بالتنفيذ ، وقاموا بالحركات الثورية العملية ، ليسوا ـ فى حقيقة الأمر ـ الا تلاميذ لهؤلاء المثقفين ولهؤلاء الأدباء .

تبعات الادباء تجاه القومية العربية

وقد تقولون أنى لم أحدثكم الى الآن عن الأدب والقومية العربية ؟ وان كنت أنا أعتقد انى لم أحدثكم الا فى هذا الموضوع ، فكل ماقلته

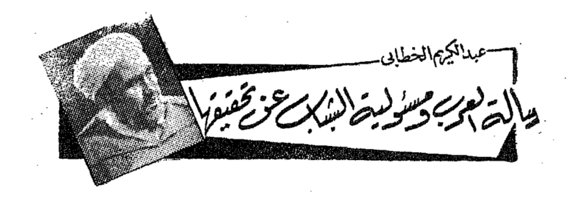
لكم منذ أن بدأت الحديث على طوله الى الآن ، ينتهى الى شيء واحد ، هو أن القومية العربية مدينة بوجودها وقوتها ونموها للأدب العربى ، وان القومية العربية الحديثة مدينة بنهضتها وقوتها وبهذه الآمال العراض التى نطمح اليها ، للأدب العربى الحديث . ومعنى هذا أن الأدب يجب أن يكون وفيا لنفسه ، يؤدى واجبه فى العصر الحديث ، كما أداه فى العصور المختلفة ، أو خيرا مما أداه فى العصور المختلفة ، لأن طبيعة الحياة هى القوة والذكاء ، وليست هى الجمود والاستقرار ، فاذا كان الأدب قد أدى واجباته الى الآن ، فينبغى أن يؤدى هذه الواجبات فى تقوية القومية العربية وتكوين هذه الوحدة العربية التى ورثها العرب عن أسلافهم وعن آبائهم الأول ..

هذه الوحدة التى أضاعتها الأحداث والخطوب يجب أن تعود ، ويجب أن تتم ، ويجب أن تقوى ، ويجب أن تكون الأمة العربية واحدة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، وأن يكون العرب كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا والا يذهب العرب هذه المذاهب المتفرقة : قوم يخلصون للفكرة العربية ، وآخرون يخلصون ببعض قلوبهم ولا يخلصون بها كلها .. كل هذا يجب أن يزول والوحدة العربية يجب أن تتحقق ، وليس الى تحقيقها الصحيح من سبيل الا أن ينهض بها الأدباء ، فهم بناة القومية العربية ، وهم الحفظة عليها وعلى نموها وقوتها ، وهم الذين أخذوا يكونون هذه الوحدة وعليهم الا يريحوا والا يستريحوا حتى يتم تكوين هذه الوحدة وحتى تمضى الأمة العربية فى طريقها الى الحياة الراقية المجيدة السعيدة كما ينبغى لها أن تحيا وكما ينبغى لها أن تعيش فى هذه الأيام التى يملأها القلق ويملأها الاضطراب .

أيها السادة لاتنظروا منى أن أتحدث اليكم بالتفصيل عما فعل

الشعر فى هـذا العصر أو ذاك ، أو عما فعل النثر فى هذا العصر أو ذاك ، فلسنا هنا فى جامعة ، ولست ألقى عليكم درسا فى الأدب أو درسا فيما شئتم من الموصوعات ، وانما أريد أن يكون هـذا الاجتماع أو هذا المؤتمر الذى أشرت بالحديث اليه الآن والذى أتيح له أن يجتمع فى مدينة القاهرة ، أريد أن يكون مؤتمرا لاينصرف ولا يتفرغ أعضاؤه الا وقد استشعرت قلوبهم هذه القوة التى ليس منها بد ، وهى التى تأتى من علمهم بأنهم هم الذين عليهم قبل كل شىء بناء الحياة العربية الجديدة ، فان نهضوا بها فذاك ، وان لم ينهضوا بها كما ينبغى فعليهم ، وعليهم وحدهم ، تبعات هـذا التقصير .





بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

انه اذا اتفق لمجموعة بشرية اشتراكها فى عنصر معنوى ، أو مجموعة من عناصر معنوية ، كالدين أو اللغة ، أو العادات والتقاليد ، أو التاريخ والكفاح المشتركين ، تكونت عندئذ قومية معينة ، تحدد معالمها هذه العناصر وتفصلها عن سائر القوميات البشرية الأخرى .

واذا اتفق لمجموعة بشرية اشتراكها فى عنصر مادى أو مجموعة عناصر مادية كالجنس البشرى الذى ينتهى أصلها اليه ، أو المصالح المادية المشتركة ، تكونت عندئذ قومية معينة ، تحدد معالمها هذه العناصر وتفصلها عن سائر القوميات البشرية الاخرى .

فاذا أمعنا النظرة الدراسية فى مدى نصيب القوميات المختلفة فى هذا العالم ، من هذه الروابط العديدة ، المعنوية أو المادية ، وجدنا أنها لم تجتمع كلها فى أمة واحدة ولم تتوفر أبدا لواحدة منها ، الا

فى القومية العربيــة وحدها . فنحن الامــة الوحيدة فى العالم التى اجتمعت فيها كل عناصر ومقومات القومية المعنــوية والمادية التى ذكرت .

فاذا عرفنــا أن مجرد اشتراك مجموعة بشرية فى عنصر واحــد من العناصر السابقة ، انما يعنى وجود قومية متميزة عن ســائر القوميات ، أى يعنى وجود أمة واحدة ، أدركنا اننا القومية الوحيدة التى اجتمعت لها كل عناصر تكوين الامة الواحدة ، فضلا عن سائر القوميات .

واذا عرفنا أن وحدة القومية يتناقض تناقضا تاما مع توزعهــا وتشتتها واقتسامهــا الى شعوب مختلفة ، تحت رايات مختلفــة ، وانظمة سياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية مختلفة ، تأكــد لدينا أن وحدتنا القوميــة توجب علينا وحدتنا وتمليها فى كافــة شئون الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية وما يتبعها ويتفرع عنها من مسائل أخرى رئيسية وفرعية .

أصل الوحــدة العربية

وعلى هذا الاساس نسائل أنفسنا سؤالا جوهريا هــو : هــل الضمير العربى المخلص لم يدرك رسالته وواجبه على أساس وحدتنا القومية الا اليوم ، فى هذا النصف الثانى من القرن العشرين ، فينادى بضرورة تحقيقها فى اخلاص ودأب ؟

ان اجابتنا على هذا السؤال يجب أن تكون اجابة علمية مستمدة من واقع تاريخنا الحضرى والمادى .

ويقول لنــا التاريخ ان الله لمــا اختص العرب بالاسلام الحنيف ليبلغوه الى ســائر الامم والشــعوب ، قد اختصــهم بكل أســس الحضارة البشرية .

وكان طبيعيا أن يســتفيد العرب من حضــارة الاسلام قبل أن يدعو غيرهم الى الاستفادة منها . ولذلك كان أول شىء فعــلوه أن

حققوا وحدتهم القومية قبل أن ينتهى القرن الاول من التاريخ الهجرى .

وكانت وحدتهم تلك هى أول وحدة قومية عرفتها البشرية على الاطلاق ، فى وقت كانت فيه قوميات كثيرة مبعثرة ، مشتتة ، متقاتلة ، مفككة ، رغم أنها كانت تفوقهم عددا فى الانفس ، ورقعة فى الارض ، وموارد فى الرزق .

وقد جمعت هذه الوحدة شعوب القومية العربية ، قرونا عديدة كانوا فيها سادة أعزة أقوياء .

واذن ، فالقول بأن المناداة بالقومية العربية ليست الا « مناورة عابرة » ، أو اجراء « تكتيكى مؤقت » ـ كما يعبر العسكريون والسياسيون المحترفون ـ انما هو قول كاذب ومضلل ومختلق من أساسه ، وقائله أحد اثنين : اما عدو لهذه الامة ، أو عميل لاعدائها من بينها . لان عقيدة الوحدة والحاجة اليها ليست بنت اليوم ، وانما هى قائمة منذ قام تاريخنا العربى الواعى فى هذه البشرية : منذ أربعة عشر قرنا من الزمان .

وهى ليست عملا عدوانيا أو بربريا أو همجيا ، لانها قائمة لدينا على أقوى أسس حضارية عرفتها البشرية وهى الحضارة الاسلامية .

بل أكثر من هذا ، يؤكد التاريخ البشرى أننا كنا أول أمة بين أمم البشر عرفت طريقها الى الوحدة القومية فحققتها منذ قرون سحيقة ، فكيف يمكن أن توصف مناداتنا بها اليوم بأنها عمل أملته ظروف السياسة الحاضرة ، أو عمل يخرج به العرب عن نطاق الحضارة والانسانية ، بينما نحن نعيش فى حضارة القرن العشرين: التى يدعون أنها أقصى ماوصلت اليه البشرية من حضارة ؟؟!! .

كيف يمكن أن يصدق هذا القول ، اذا كنا نرى القوميات التى لم تعرف الوحدة طوال حياتها قد تجمعت فى هذا الزمان وتوحدت ، بينما نحن كنا أصحاب رسالة الوحدة وأول معلميها ومطبقيها !؟

ان ترديد أقوال مثل هذه التىأشرت اليها ليس الا محض اختلاق وكذب وخيانة لهذه الامة ، أو جهل وضلال ، ومسايرة للعدو ى مايريده لنا ...

قاعدة الوحدة

فاذا ما انتهينا من ذلك الى أن وحدتنا أمر تاريخى عميق الجذور ى ماضينا وامر حضارى بنى على أسمى أسس الحضارة البشرية ونظمها ، فما هى اذن :

١ ــ القاعدة التى قامت عليها وحدتنا الاولى ؟

٢ ــ العوامل التى مزقتها فقضت عليها ؟

٣ ــ الاسس الجديدة التى نبنى عليها وحدتنا مرة ثانية ؟

لقد كنا نحن العرب أمة واحدة ، قوية الشوكة ، مرهوبة الجانب عندما كنا نقتفى أثر رسول الله ، سيدنا محمد صلوات الله وملائكته وسلامهم عليه . فبعدما أنزل الله عليه القرآن الكريم بمثله الأخلاقية ونظمه الحضارية ، السامية الجديدة ، وصفه عندئذ بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » ، لانه مثل أعلى فى اطاعة ماأمر الله به ، وفى تطبيق ما انزل عليه ، ولانه المعلم الكامل الاول والاخير للبشرية ، ولانه المثل الاعلى للتطبيق .

وعلى هذا فان كل من اقتفى أثره من فرد أو جماعة ، وعمل عمله وتخلق بخلقه ، فهو أيضا على خلق حميد من أخلاق الرسول العظيمة .

وقد كان أجدادنا الاول أوسع منا ادراكا ومعرفة بأسرار الحضارة فتخلقوا بأخلاق القرآن الكريم ، الذى أنزله على رسوله وتمسكوا بها ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، وطبقوها ووضعوها موضع التنفيذ ، باخلاص وصدق وايمان فتمت وحدتهم الكبرى ، وكانوا بها السادة الاعزة الاقوياء .

اخـــلاق النهضة

وقد أوضح الله تعالى هذه الاخلاق الحضارية في عديد من آيات الكتاب الكريم ، فأمرنا بوحدة الصف ، والجهاد في سبيله ، والدفاع عن الاوطان بكل قوة ، وايثارنا بعضنا البعض في الخير ، واقتـداء بعضنا البعض في الشر ، والوفاء بالعهـد والوعـد ، والبر بالوالدين ، والكرم والشجاعة والتواضع ، والصدق في القول والعمل ، والعفـو عند المقدرة ، واغاثة الملهوف ، وحماية المستجير واطعـام المساكين منا ، والحياء من الله والخوف منه ، والصبر في الكفاح والعمل والقنـاعة ، وقول الحق ، وقبول الحق ، والنزاهـة ، والاستقامه والشرف والعدل والرحمة ، وتوقير الكبير منا،والاشفاق على الصغير فينـا .

ولقد رفع الله سبحانه وتعالى المتصفين بهذه الاخلاق فوق درجة البشر العـادى ، فوصفهم « بالمتقين » ووعدهم ، وهـو أصـدق الواعدين ، فوق مجد الدنيا وعزتها بجنة الآخرة ومغفرتها ، اذ قال في كتابه الكريم في سورة البقرة : « وسـارعوا الى مغفـرة من ربكم وجنة عرضـها السموات والارض أعدت للمتقين ... » . وأوضح الشروط الواجب توفرها فيمن يوصف بالتقى ، فاستطرد قائلا :

١ ــ الذين ينفقون في السراء والضراء .

٢ ــ والكاظمين الغيظ .

٣ ــ والعافين عن النـاس ، والله يحب المحسـنين (أى أن من اتصف بهذه الاخلاق ليس تقيا فقط ، بل محسنا أيضا) . ثم تابع سبحانه قائلا في شروط التقى

٤ ــ والذين اذا فعلوا فاحشـة أو ظلمـوا أنفسـهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم . ومن يغفر الذنوب الا الله ؟

٥ ــ ولم يصروا على مافعلوا (اى على ما أخطأوا) وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتهـا الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين .

هذه هى المثل الاخلاقية التى علمنا اياها الله ، وفهمها العرب فى بداية نهضتهم الاسلامية ، فهما صحيحا عميقا ، فتحلوا بها وتمسكوا بآدابها ، فاستطاعوا تكوين وحدتهم التاريخية الاولى وتحقيق أول وحدة قومية فى التاريخ .

هى أخلاق جماعية

وقد يرى ذو النظرة السطحية أننى هنا ألقى القول على عواهنه عندما يظنون أن هذه الاخلاق كلها ، تعد أخلاقا فردية وليست « منهاجا اخلاقيا تنظيميا جماعيا » ، ترتبط به أمجاد الدنيا وعزتها وقوتها ، وبذلك أقول لهؤلاء ان نظرتهم هذه سواء أكانت عن عمد او جهل للحقائق ، خاطئة من أساسها ، وتجربة التاريخ برهان خطئها

فالقواعد الاساسية فى الفلسفة الاجتماعية الجماعية ، تؤكد أن أخلاق الشعوب والدول ، وتصرفاتهما ، تنتج أساسا من مجموع اخلاق الافراد وتصرفاتهم ومعتقداتهم ومثلهم العليا . وخضوعا لهذه القاعدة التى لاتقبل اثبات العكس ، لم يستطع العرب جمع شملهم القومى الا بعدما حققوا وحدتهم الاجتماعية أولا بين بعضهم البعض على أسس سامية اتصف بها كل فرد منهم ، فى الاخلاق والعقيدة والمثل العليا .

ويؤكد التاريخ الاجتماعى للعرب ، أن وحدتهم السياسية ظلت قائمة طوال العهود التى كان فيها أفرادهم يتحلون بهذه الصفات ، كما كان يتحلى بها حكامهم وساستهم وقادتهم وعلماؤهم ومفكروهم ، سواء بسواء .

عوامل تمزيق الوحدة

ويؤكد التاريخ السياسى للعرب ، انهم لما تخلوا ، أفراداوجماعات عن هذه المثل الاخلاقية ، تخلى عنهم بالتالى ، مجدهم السياسى ، وغادرهم مجد الدنيا ، كما غادرهم رضاء الله وتأييده .

فأواصر الوحدة العربية الاولى ، لم تنفك وتتلاشى الا عندما تخلينا نحن عن ايماننا بالاخلاق المثالية أفرادا وجماعات ، على كافة مستوياتنا المادية والفكرية والسياسية ، فاستبدلنا الصدق بالكذب ، والغش بالامانة ، والعفو بالتجبر ، والرحمة بالقسوة ، والقول الحق بانكاره وقبول الحق برفضه ، والبر بالوالدين بالاساءة اليهما ، وتوقير الكبير باحتقاره والتطاول عليه ، والاشفاق على الصغير بنبذه ، والتواضع بالتكبر ، واغاثة الملهوف بالتخلى عنه ، والشجاعة بالجبن ، والكرم بالشح والبخل ، والحياء من الله والخوف منه باعتناق المذاهب المادية الالحادية الهدامة وانكار الله ، والصبر فى الكفاح والعمل بالانتهازية واستغلال جهد الآخرين ، والنزاهة بالخبث ، والاستقامة بالاعوجاج ، والعدل بالجور ، والمساواة بالتمييز والتعالى على بعضنا البعض ، والقناعة بالحلال بالطمع ولحرص على جمع المال الحرام .

عندئذ ... عندما امسى حالنا هكذا ... تناثرت صفوفنا وتفرقت وحدتنا .. وانفض جمعنا . . فضعفنا .

والضعف يغرى بصاحبه ، ولذلك طمع فينا أعداؤنا فسيطروا علينا واستبدوا بنا وأذلونا وشتتونا كل شيعة فى واد .

وهكذا أصبح حالنا .

ماذا نفعل الآن . . . ؟

فما هو الطريق الذى يجب علينا أن نسلكه اذا اردنا أن نحيا من جديد كأمة تريد الحياة كريمة عزيزة مرة ثانية بين الامم الاخرى.؟!

ان الجواب على ذلك سهل بقدر ماهو صعب . والطريق واضح الى مانريد بقدر ماهو شاق وطويل .

ان الطريق الاول الذى سلكناه لتحقيق وحدتنا هو نفس الطريق الذى علينا أن نعود اليه لنسلكه مرة أخرى .

انه طريق العــودة الى بنــاء مجتمعنا العربى على نفس الاسس الحضارية التى جاءنا بها الاسلام الحنيف . . . والعودة الى الحياة فى دائرة الاخلاق التى رسمها هذا الدين على النحــو الذى حاولت أن أفصله .

هذا هو الطريق ، ولا طريق سواه .

كيف نسير فى الطريق . . ؟

وان أول خطواتنا فى الطريق هى الايمــان بالله ، وبمــا أنزله فى القرآن الكريم لان هذا الايمان يضم كل أهدافنا ويحدد كل وسائلنا لتحقيقها .

ان هذا يجعلنا نؤمن أولا وقبل كل شىء بأن وحدتنا القوميــــة ليست « مناورة سياســية » وانمــا هى ضرورة قوميــة ، مادية ومذهبية لنحيا بين الامم الاخرى مرفوعى الرؤوس والهامات،نحمى مبادئنا ونعلى كلمة الحق والصدق والعدل بين أمتنا .

هذا هو هدفنا

ولا نستطيع تحقيق هذا الهدف ، الا بايماننا بالمبادىء الاخلاقية التى أشرت الى مضمونها لتكون لنا هاديا ومرشدا على الطريق الكبير وسلاحا فعالا لحمايتنا من المعتدين ، أثناء سيرنا فيه ، واجتيازنا لجباله ومغاوره .

أول مبادئنا الشجاعة

أولٌ مبدأ أخلاقى يجب علينا اعتناقه فى مجموعة هذه المبادىء هو الشجاعة .. الشجاعة فى ادراك واقعنا والقوة التى تؤثر فى سير ركبنا ، فنبرهن بذلك على اننا أمة تعرف مسئوليتها الحقيقية لأنها أمة تريد أن تعيش ..

وأول ماتوجب علينا الشجاعة ادراكه ، هو أننا المسئولون عن ضعفنا لا الاستعمار والمستعمرين .. ان القاء مسئولية ضعفنا وتفرقنا .. على الاستعمار والمستعمرين . يعنى شيئا واحدا ... هو أننا لانريد أن ننهض لاننا نسمح لانفسنا بالحياة وسط اكذوبة ضخمة يدحضها التاريخ السياسى وينفيها من أساسها ، اذ أن الاستعمار والمستعمرين لم يدخلوا بلادنا ويستعمروننا ونحن أقوياء بالاتحاد والتضامن ، وانما هم جاؤنا بعد ماضعفنا نحن وتحللت أخلاقنا ونظمنا وتبعثرت قوميتنا فتفرقنا وتشتتنا كالقطيع كل فريق الى مرعى .

وما كان الاستعمار يستطيع طرق أبواب بلادنا ، ثم تحطيمها واجتيازها والسيطرة على من بداخلها ، لو كنا نحن قوة موحدة نقف أمامه وتصده وتدحره .

وكل الذى فعله الاستعمار بنا بعد ذلك انما كان دفاعا عن وجوده طبقا لسنة الحياة القاضية بأن الغلبة للاقوى ، فحافظ على ضعفنا هذا وزاد عليه بمحافظته على مقومات هذا الضعف من الانحلال الدينى والاخلاقى .

وهكذا أصبحنا بعد أن كنا أمة من ذوى البأس .

فعلينا أن نعترف بهذا الواقع وندركه ، لان الاعتراف بالواقع وادراكه هو أول أدلة الشعور بالمسئولية ، وأولٌ برهان على أن لدينا

ـجاعة والعزم على تغيير حالنا الى أحسن وأفضل : الى ماكنا
ـه فى فجر حضارتنا الاسلامية .

ان اعترافنا بهـذه الحقيقة ، يعنى اننـا حقا نريد الحياة واننا
زمون على شـق طريقنا الصعب الطويل الى وحدة قومية اجتمع
هـ من عناصرها مالم يجتمع لاية قومية أخرى من العناصر المادية
والمعنوية بالمجد والقوة والحرية .

تلك رسالة الشـباب

ولا ريب لدى ، أدنى ريب ، فى أن تلك مسئولية شباب الامـة
ـربية من مشرقها الى مغربها ... قبل أن تكون مسئولية القادة
ـ الساسـة والمفكرين .. وما أعفيهم من حـق الارشـاد وواجب
ـساعدة .

انها رسالة الشباب وحدهم وليست رسالة أحد سواهم بصفة
ساسية

وهى رسالة المثقفين منهم على وجه الخصوص ، لانهم سيكونون
قادة فى شتى مناحى الحياة الجديدة للقومية العربية ، سيصبحون
قادة الحرب والدفاع وقادة الطب والقانون،وقادة الزراعة والصناعة
وقادة التجارة والاقتصاد وقادة العلم والادب والفن .

كرمهم الرسول

ولقد كرمهم الرسـول صلى الله عليه وسلم فقـال : بأن « ريح
الجنة فى الشباب » وضرب لنا المثل الاول فى ضرورة اعتماد الامـة
عليهم لتحقيق أهدافها الكبرى،لنحذو حذوه ونترسم طريقه ، عندما
ولى الصحابى الشاب زيد بن حارث قيادة أحد ألوية المسلمين فى
الجهاد الاسلامي وهو لـما يتجاوز بعد العقد الثانى من عمره فقاد
الجيوش بعزيمة الشباب وايمانهم وصدقهم وحقق بذلك فراسـة
المصطفى فى الشباب

فلما ولى أبو بكر الصـديق أمر الامة لم يسعه الا أن يقر زيدا على ماوكله اليه الرسول الاعظم ، فحمل عبئه كخير ماتحمل الاعبـاء الجسام وتؤدى رسالات الامم على أيدى الشباب .

وان أملى فى الشباب العربى قوى .. فى أن يؤدى الامانةوالرسالة التى أمره الله بأدائها وهى أسمى الرسالات وأكثر خلودا .

بل هى الخالدة أبدا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب لعالمين .





قال الله تعالى (يأأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) . وقد نشأت السلالات البشرية منذ أقدم ازمنة التاريخ وتمايزت بألوانها وأشكالها وطبائعها وأخلاقها ، وانتشرت على ظهر البسيطة خاضعة لنظام التكوين الالهى الذى خلقها الله عليه ، من حيث الخصائص والمدارك والاستعداد الفطرى فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله) ومتأثرة الى حد كبير بالاقليم الذى تعيش فيه وتبنى على مقتضياته حياتها وعالمها الاجتماعى .

خير أمة

وبمرور الزمن وتوالى الاحقاب ، أخذت هذه السلالات البشرية تتباعد عن بعضها وتنفصل الى أقوام وشعوب وقبائل . فالعنصر السامى الذى ينتمى اليه العرب ، يضم غيرهم من الاقوام التى انتشرت فى شبه الجزيرة العربية وما جاورها من الاقاليم . وقد كانت شبه الجزيرة موطن العرب فى أدوارهم الاولى ، ثم حدثت موجات عربية ، لاسباب متعددة ، قبل الاسلام وبعده ، انتشر العرب فيها فى الاقطار المجاورة . واعظم هذه الموجات انتشارا وأبعدها أثرا ، هى التى تلت شروق شمس الاسلام على العالم . ولما

كانت الامة العربية من خيرة الامم ، وكانت تمتاز بالاخلاق الكريمة والسجايا العظيمة فقد اختارها الله تعالى ، لحمل رسالة الاسلام فقامت بعبء نشر الدعوة الاسلامية خير قيام فى شبه الجزيرة العربية ثم فى العراق والشام وفارس ومصر وشمالى أفريقية وغيرها.
ولما كان القرآن الكريم ، هو الجامع لاحكام الاسلام ، وهو لسانه المبين ، وبيانه للناس أجمعين ، وكان (قرآنا عربيا غير ذى عوج) وقد (نزل به الروح الامين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين) . فسرعان مااجتاح تيار العروبة كثيرا من الاقطار التى اعتنق أهلها الاسلام لما وجدوا فيه من سهولة ويسر ومعاملة كريمة لم يكونوا يجدون شيئا منها عند الامم المتغلبة فى ذلك الزمان كالفرس والروم وغيرهم ، فالاسلام هو الذى عرب بلاد الشام وتخوم العراق مما يلى فارس ، كما عرب مصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش وغيرها . وقد أتى على فارس وخراسان وتركستان وغيرها حين من الدهر كانت فيه لغة القرآن هى السائدة فى تلك المساحات الواسعة من القارة الآسيوية . وقد نبغ من الاعاجم علماء فطاحل فى علوم الدين وعلوم الدنيا كالطب والرياضة والفلسفة والمنطق حتى علوم اللغة العربية نفسها كالصرف والنحو والبلاغة والبيان والشعر . فالاسلام فى حد ذاته كان (تعريبا) كما كان هداية وتهذيبا لان عماده لغة القرآن التى هى لغة العرب .

وقد ذكر المؤرخون وعلماء الانساب أن أمة العرب نشأت فى شبه الجزيرة وكان قوامها (١) العرب البائدة كقبائل عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم الاولى ، (٢) العرب العاربة وهى القبائل اليمنية التى انتشرت فيما بعد فى الاقطار العربية (٣) العرب المستعربة وهى التى تنتمى الى اسماعيل عليه السلام بعد زواجه من قبيلة جرهم الثانية (٤) الاقوام التى أصلها أعجمى وتعربت بعد الاسلام .

وقد كانت الهجرة الاولى للقبائل العربية ، من اليمن فى الجنوب الى أواسط الجزيرة والى العراق والشام مثل كندة التى نزلت

أواسط الجزيرة ، ولخم وجذام التي نزلت العراق ، وخزاعة التى نزلت مكة المكرمة ، وقضاعة وغسان اللتين نزلتا ديار الشام .

فلما انتشرت القبائل العربية فى شبه الجزيرة كلها والهلال الخصيب بأجمعه ، وانتشرت بعد ذلك اثر الفتح الاسلامى الاكبر فى القارتين الافريقية والآسيوية ، حملت الى تلك الاقطار دينها ولغتها وثقافتها ، وسرعان ماتقبل أهل تلك الاقطار الدين الجديد المشرق الزاهر ودخلوا فيه أفواجا ، وتبوأت اللغة العربية مكانتها السامية بين تلك الاقوام من المحيط الاطلنطى غربا الى حدودالصين شرقا ، ومن القوقاز شمالا الى أواسط أفريقية جنوبا ونشر العرب دينهم ولغتهم وثقافتهم وتقاليدهم من (غانة الى فرغانة) كما كان يقال .

ايرانيون وأتراك

فلما اجتاحت الموجة المغولية والتترية أقطار أواسط آسيا وغربها حاملة اليها الخراب والدمار ، أصيبت الحضارة العربية الاسلامية بنكسة شديدة فى الجناح الشرقى من ربوعها ، وتلا ذلك ظهور السلاجقة ثم الترك العثمانيين فى آسيا الصغرى . ومع ان الاسلام ظل هو الدين السائد ودانت به القبائل الغازية المغولية والتترية فقد طرأت طوارىء أدت الى نمو العصبيات القومية فى شعوب آسيا الغربية المسلمة . فلما استتب الامر للترك العثمانيين في الاناضول وما جاورها من الاقطار اشتبكوا بحروب شديدة مع جيرانهم الايرانيين الذين كانت أكثريتهم الكبرى شيعية المذهب ، وكان العثمانيون سنيين . ثم ان الايرانيين لم يكونوا يرون للترك أى فضل عليهم ، فلا هم جاءوهم بدين هداية ولغة بيان واعجاز ، كما فعل العرب ، ولا حملوا اليهم مدنية وحضارة جديدة لم يكن عند ايران أفضل منها ، فقد كانت ايران امبراطورية عظيمة ذات

حضـارة وتاريخ عريق قبـل الفتح الاسـلامى ، لذلك لم يخضع الايرانيون للترك وحاربوهم حربا شديدة استمرت أجيالا متعاقبـة ونشأ عنهـا زيادة الخـراب والدمار فى العـراق العربى الذى كانت تتنازعه تركيا وايران .

طابع دينى

وقد أدى ضياع سلطان العرب السياسى على ايران ، وسيطرة الترك العثمانيين على العراق والشـام ومصر وغيرها من الاقطـار الافريقية ، الى انكماش العرب حينا من الدهر وظل وسط الجزيرة العربية وجنوبها بمعزل عن السلطنـة العثمانية ، ولمـا كان العرب يشعرون فى عهـد هذه السلطنة انهـم شركاء فى الحـكم فى دولة الخلافة ، وان رابطة الدين تربط بينهم وبين الترك العثمانيين ، فان القومية العربية لم تتخذ شكلها الواضح فى الاقطار العربية الا فى هذا القـرن الاخير . ذلك أن الغـزوات الصليبية المتعاقبة على الشرق اتخذت طابعهـا الدينى المعروف ، وكان لابد لمقاومتها من عصـبية دينية مقابلة من العناصر المسلمة التى يزخر بهـا الشرق العربى فى ذلك الحين ، كالعرب والسلاجقة والاكراد والجراكسة ، والايرانيين . فكان هم الشرق العربى منصرفا الى دفع الخطر الاوربى الذى اخذ يجتاح أقطاره فى شكل غزوات صليبية متعاقبة ، ولم يكن للعصبيات القومية نصيب كبير فى تلك الحقبة من الدهر وان كانت اللغةالعربية هى اللغة السائدة لانها لغـة القرآن ، وكان الطابع الاسلامى هـو الطابع المميز للدول التى تعاقبت على الحكم فى العراق والشام ومصر والحجاز وما جاورها من الاقطار ، وللجيوش التى كانت تجـهزها هذه الدول للحرب والقتال . وقد ظل هذا الطابع الاسلامى بعـد انحسار الموجة الصليبية عن الشرق ، واضحا خلال عهد السلطنة العثمانية ..

سياسة استعمارية

فلما اتخذت القوميات شكلها الواضح فى أوربا وانتقلت عدوى القومية الى بلاد الشرق ، وظهر فى الدولة العثمانية أفراد يدعون الى القومية الطورانية ، وهى التى ينتمى اليها الترك الذين نزحوا من أواسط آسيا الى الاناضول ، ظهر فى الاقطار العربية أناس يدعون الى القومية العربية واتخذت هاتان الدعوتان شكلهما القوى الواضح فى أوائل القرن العشرين . وكان من صالح اوربا ودولها المستعمرة أن تشتد الدعوة الى اعتناق فكرة القومية بين كل من العرب والترك ، ليشتد الخلاف بين العنصرين الاساسيين اللذين تقوم عليهما أركان السلطنة العثمانية وبذلك يسهل على الدول الاوربية أن تشطر دولة الخلافة وتقضى عليها . وظلت السياسة الاستعمارية الاوربية تفتل فى الذروة والغارب ، ولا تدخر وسعا فى الكيد والدس ، حتى استطاعت تحقيق أغراضها وواتتها الفرصة السانحة بدخول تركيا غمار الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ الى جانب المانيا والنمسا . فأخذت بريطانيا وفرنسا تشجعان العرب على الانفصال عن الدولة العثمانية ، وقطعت بريطانيا للعرب عهودا بالاستقلال عام ١٩١٦ ، فعلت بريطانيا ذلك وهى من جهة تقطع وعدا سريا لليهود بأن تكون فلسطين وطنا قوميا لهم ، ومن جهة أخرى تعقد مع فرنسا معاهدة سرية (معاهدة سايكس بيكو) بأن تقتسم معها الاجزاء العربية التي ستنسلخ عن السلطنة العثمانية ، وهى العراق وسورية وفلسطين ولبنان .

يقظــة

فلما انتهت تلك الحرب بتمزيق السلطنة العثمانية واحتلت فرنسا سورية ولبنان ، واحتلت بريطانيا العراق وفلسطين وكانت مصر تحت احتلالها من قبل وكذلك السودان ، وكان شمال أفريقيه العربى تحت احتلال بريطانيا وفرنسا ، وجدت الامة العربية نفسها أشلاء ممزقة واقطارا متباعدة ، وقد ضربت الدول الاستعمارية بينها بالاسداد ، وتشتت شملها أو كاد ، وبدت لعينيها الهاوية السحيقة التى يدفعها اليها الاستعمار الاجنبى والخطر اليهودى جلية واضحة ، فأخذت تحاول جمع شملها المبدد ، ولم شعثها المفرق ، وتتلمس وسائل النجاة ، وهى أشد ماتكون شعورا بالكارثة التى منيت بها خلال القرنين الاخيرين . وأخذت الفكرة القومية التى ظهرت فى مصر والشام فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تتفاعل فى النفوس من المحيط الاطلنطى الى خليج البصرة ، وكان اتجاهها فى هذه المرة ايجابيا يرمى الى اعادة انشاء هذه الامة العظيمة انشاء جديدا واعدادها لتتبوأ مركزها اللائق فى العالم . ولا بد أن يتم ذلك بمراحل تقطع فيها الامة خطوات واسعة فى سبيل التفاهم والتقارب والثقافة المشتركة والاتحاد ، وتطهير نفسها من رواسب الاستعمار والحكم الاجنبى . وفى سبيل تحقيق هذه الغاية تتابعت الثورات والحروب الاستقلالية والتحريرية فى الاقطار العربية . فكانت هناك حروب وثورات فى كل من ليبيا والعراق وفلسطين وسورية ومصر وتونس والجزائر ومراكش

واليمن وعمان وغيرها . وقد كان النجاح حليف بعض هذه الاقطار وسيكون حليفها حتما فى بقيتها طال الزمن أم قصر . وأخذ روح القومية العربية يجتاح الاقطار العربية اجتياحا ، والقوميـــة العربية تبدو بجميع خصائصهـــا وميزاتها فى هـــذه الاقطار الواســـعة التى يسكنها ثمانون مليونا من الانفس .

اللغة أساس القومية

وقد زعم بعض الاجانب من مستشرقين وغيرهم أن سكان هذه الاقطار الواسعة ليسوا كلهم عربا وأن فيهم الاكراد والجركس والترك والبربر وغيرهم من الاقوام وان العرب الصرحاء هم قلة فى وســـط هذه المجموعة الضخمة من العناصر ، والواقع أن هذه المزاعم مردودة على أصحابهـــا ، اذ المتفق عليـــه عند علماء الاجتماع ان اللغة هى اساس القومية ، فهذه الاقطار كلها لغتها السائدة هى اللغة العربية ، وقد اندمجت اندماجا كاملا منذ مئات السنين . ولو صحت هذه المزاعم لتغيرت الاوضاع وتبدلت المقاييس فان الاقطار العربيـــــة هى وحدة قومية أكثر بكثير مما هى انكلترة انكليزية ، لان الجزيرة البريطانيـــة مكـــونة من أربعـــة عناصر هم الانجليـــز السكســـون والاسكتلنديون ، والويلز ، والارلنديون ، ولكل منهم لغته الخاصة به . وماذا نقول عن الولايات المتحدة الامريكية وهى مؤلفة من عناصر لاتحصى أوربية وغير أوربية . وماذا نقول عن الهند وفيها عناصر لاتحصى تتحدث بأكثر من مئتى لغة !

وبعد لاشك فى أن اللغة هى طابع الامـــة المميـــز ورابطتها الوثقى

ولسانها الناطق ، وقد انقرضت لغات كثيرة أو تطورت على مــر القرون والاجيال ، ولكن اللغة العربية ظلت ، بفضل القرآن الكريم، لغة حيــة قوية على مدى الدهر ، وكمــا ان اللغة العربية هى التى حفظت القومية العربية ، فان القرآن الكريم هو الذى حفظ هــذه اللغة وصانها على مر القرون من الضياع والاندثار . ولا شــك أن القومية العربية مدينة ببقائها وانتشارها الى اللغة العربيــة بالقدر الذى تدان به هذه اللغة الكريمة الى القرآن الكريم ، والى الاسلام .





كفاح ونضـــال

حينما نتكلم عن الاستعمار والقومية العربية ، نجـد أمام أعيننا شريطا طويلا ... شريطا حافلا بالذكريات والاحداث ... شريطـا بعضه حلو وبعضه مـر ... صور قوية تنطق بالانتصارات وصور مهزوزة عليها بعض الانكسارات . فالاستعمار لم يترك هـذه الامة أبدا ، استعمار يذهب وآخر يأتى .. لون يروح ولون أقتم منـه يعاود الكرة .. دهور طويلة وأحقاب متلاحقة والامـة العربية فى كفاح متواصل ونضال مستمر ، سـعيا وراء الحرية وتحقيقـا لاصالة القومية .

الوطن العربى .. ذلك الجزء من العالم الذى يمتـد من المحيط الاطلسى الى الخليج العربى ، هذا الجزء الشاسع المساحة المتـد الاطراف ... ما السر فى تكالب الذئاب على انتهاشه ؟ وما السبب

في ملاحقة الاستعمار لاحتلاله ؟ انه سر يرجع الى مئات السنين وسبب تمتد جذوره الى مئات التفاصيل .

مفتاح العالم

دعونا ننظر الى خريطة العالم ونرى اى موقع لهذا الجزء يحتل من هذا العالم ... انه كما يتبين لنا مكان يتوسط ثلاثة قارات ويشرف على بحرين من أهم بحار العالم . انه ليس بمكان على قدر ماهو مفتاح .. مفتاح يدخل الغرب الى الشرق ويخرج الشرق الى الغرب . يدخل الغرب بأطماعه ومصالحه ، ويخرج الشرق بخيراته وغلاته .

لذلك اتجهت الى هذا الجزء من العالم أنظار الطامعين ، ولذلك توالت عليه حملات الغزو من محبى السيطرة ، فقد كانت النظرية السائدة لهؤلاء الغزاة والطامعين هى أنه من ملك الشرق الاوسط فقد ملك مفتاح العالم . ولهذه العقيدة ، فقد اتجه الى ذلك الجزء من العالم موجات التتر وجحافل المغول ، واتجه اليه الرومان ، واتجه اليه الاتراك ، واتجه اليه الانجليز ، واتجه اليه الفرنسيون ؛ واتجه اليه الفاشيون ، كل يحاول أن يضع يده على مصدر القوى وعلى ملتقى التيارات والحضارات وعلى مركز المواصلات ... كل يحاول أن يمسك فى يده مفتاح العالم .

أساليب الاستعمار

ولم تكن هذه الاطماع دائما سافرة ، وانما كان الاستعمار يحاول أن يستغل طيبة أهل هذه المنطقة فيدخل اليها بأساليب مقنعة .. فتارة يدخل فى ثياب الصديق الناصح الامين وتارة يدخل فى زى المنقذ القوى المكين . ويهدف الاستعمار من وراء هذه الاساليب

الملتوية الى خداع شعوب هذه الامة فيسلب اطمئنانها حتى تأنس لوجوده فينال منها مقصده .

من ركائز الاستعمار

ولكن هل استسلم أهل هذه الامة الى هذه المخادعة والمخاتلة ؟ وهل تمكن الاستعمار من البقاء متمكنا متربعا مع أبناء هذه الامة وبين ظهرانيهم . لا .. وانما الذى كان يحدث هو أنه لم يستسلم من أبناء هذه الامة الا الحكام ، استسلم بعضهم وهو مفتون بصداقة القوى ، واستسلم البعض الآخر وهو يعلم بحقيقة ذلك الصديق ولكنه يطمع لنفسه بالفوز بما يرميه له الذئب من بواقى فريسته . وكان هؤلاء الحكام من الخونة والعملاء هم العون الدائم للاستعمار الذي يتغلب به على شعوب تلك المنطقة . فقد نجح الاستعمار أول ما نجح فى خلق حفنة من الخونة وضعاف النفوس كركيزة له بواسطتها يتحكم فى الشعوب ويستنزف الخيرات ويوئد الحريات . ولكى يظل هؤلاء العملاء والاذناب على وفائهم لسيدهم الاستعمار ، ربط مصائرهم بمصيره ومصالحهم بمصالحه ، فان خرج فلن يستطيعوا العيش وسط الاحرار ، واذا ظل ففى بقائه عيشهم ولو كانت عيشة ذليلة مستعبدة .

وبسبب هؤلاء الخونة والاذناب بقى الاستعمار واستطاع أن يتحكم ويستبد ، فاستطاع أن يفتت وحدة العالم العربى ويشتت أجزاءه ، فاصطنع الكيانات الزائفة ، وخلق الحدود الزائلة فجعل من الجزء الواحد أجزاء ومن الدولة الموحدة دويلات ، وأوجد التنافس بين الاذناب وسيلة للتقرب اليه ، وبث الفرقة بين الدويلات وخلق الخشية والحذر بين الاخوان .

وحــدة الكفاح

ولكن هل نجح الاستعمار ـ عن طريق عملائه وأذنابه ـ في القضاء على الوحدة الاصيلة بين أجزاء هــذا الوطن ، وهل نجح فى كبت شعوب هذه الامة لقوميتهم ذات التراث والحضارة . هل توصــل الاستعمار الى اقناع السورى باختلاف قوميته عن قومية أخيــه المصرى ، وأن العراقى من جنس غير جنس السعودى ، حتى اليمنى هل أفلح فى افهامه أن تراثه غير تراث المغربى . لا وألف لا ... فان وحدة الكفاح فى مختلف أنحاء الوطن العربى الكبــير .. من المحيط حتى الخليج .. كلها كانت تنطق بأن أصلنا واحد وأن قوميتنــا واحدة . فى مصر قامت ثورات تنادى بحريتنا وحرية اخواننا . عام ١٩١٩ يوم خرج المسلمون والمسيحيون اخوة فى وطن واحد يطالبون بخروج الاجنبى . وعام ١٩٣٦ يوم اشترك المصريون طلبــة وعمالا يهتفون بسقوط الاستعمار ويتعرضون لرصاص الانجليز ، وعــام ١٩٥٠ يوم خرج المصريون جميعا لمواجهة الانجليز فى القنال .

وفى سورية قامت ثورات كلها قضت مضاجع المستعمرين ، عام ١٩٣٥ ثار الدروز وعام ١٩٣٦ أضربت دمشق خمسين يوما متواصلة وعام ١٩٤٥ قابل السوريون الفرنسيين فى معركة ميدانهــا مجلس النواب فأجبروهم على التسليم

والعراق قامت ثورة القبائل عام ١٩٣٥ وثورة الجيش عام ١٩٣٦ بقيادة الزعيم بكر صدقى وثورة رشيد عالى الكيلانى عــام ١٩٤١ وعام ١٩٤٨ يوم ثار شعب العراق فحطم اتفاقية بورتسموث. وهنا وهناك قامت ثورات وفورات كلهــا واجهت الاستعمار وثارت على عملائه ، كلها كانت تنادى بالحرية والاستقلال ، فمن خلال هــذه الحرية وذلك الاستقلال يمكنهم أن يعودوا الى أصلهم والى قوتهــم

والى حضارتهم ... هذا الاصل وهذه القوة وتلك الحضارة كانت تعنى الوحدة . وشعورهم بالاصل وبالقوة وبالحضارة هو مايطلق عليــه القومية العربية ، وعلى هــذا يمكن حصر القومية العربية فى ثلاث كلمات : أصل ... حضارة ... وقوة . واذا كانت القوميــة العربية هى التى سيرت كل هذه الثورات ضد الاستعمار ، فاننــا نجدها واضحة كل الوضوح عندما تنادى العرب جميعا الى مواجهة مؤامرة لئيمة من مؤامرات الاستعمار عندما ظهرت نيتــه فى ايجاد ركيزة له فى وسط العالم العربى وخلق شوكة دامية فى قلب الامة العربيــة ، فكانت حرب فلسطين وكانت المآسى المعروفة التى كانت من فعل الاستعمار بمباشرة أذنابه وعملائه من الحكام .

خــرج الشعب العربى من معركة فلسـطين وكله ســخط على الاستعمار وأذناب الاستعمار ، وكله أمل في تطهير صفوفه واستعادة الوطن السليب وكرامته المغتصبة . حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو . فجاءت تعبيرا عن ارادة الامة العربية وتحقيقا لامل العرب فى كل أجــزاء وطن العرب .. فحملت لواء القوميــة العربيــة التى ظن المستعمرون أنهم لها خامدون ، وانبعثت رياح التحرر العربى تنطلق فى كل جنبات الوطن العربى الكبير ، فكان كفاح شعب الجزائر الذى ضرب أروع الامثلة لكفاح أمة العرب ، وكانت ثورة عمان وجنوب الجزيرة وكان تحرر تونس ومراكش واستقلال السودان . وكان التضامن العربى بين مصر وســوريا والاردن بعد تحرر الاخيرة من نفوذ الانجليز ، وكانت القيادات العســكرية والثقافية الموحدة بين مصر وسوريا والسعودية والاردن .

القومية نور ونار

بانطلاق ثورة ٢٣ يوليو انطلق المــارد العربى من عقاله ، وانطلقت القومية العربية تضىء بنورها طريق السعى الى التحرر والوحدة .

وتحرق بنارها خصوم هذا التحرر وهـذه الوحدة . كانت نورا ونارا ... نورا أضـاء جنبات الوطن العربى فامتـلأت بصيحات القومية العربيـة ، ونارا لسعت رؤوس المسـتعمرين فتخبطوا فى تخلصهم من حرارتهـا . فزادوا من عملائهم من الخـونة والاذناب وسخوا على عملائهم من العريقين فى الخيانة والتبعية ، واستمرت الخيانات والمؤامرات بين الاذناب والاستعمار تدبر هنا وتحاك هناك، والشعب العربى متيقظ لكل خيانة ومتنبه لكل مؤامرة ، ولم يجد الاستعمار طريقا أمامـه يمكنه من تحطيم هـذه القومية الصاعدة وازهاق هذه الروح المتوثبة الا وسلكه ، ولكن دون جدوى ، فاضطر فى نهاية الشوط الى الالتجاء الى شريعة الغاب ومنطق القوة فى عصر أهم مميزاته شريعة الحق ومنطق السلام ..

وكان الاعتداء الثلاثى على مصر .. ولم يكن فى حـد ذاته ضربة لمصر بقدر ما كان نصرا محققا للقومية العربية ، اذ ذهل الاستعمار عندما تظاهر ضده العرب من المحيط الى الخليج ، فمنعوا عنـه بترولهم وحطموا له قواعده ، وانخرط العرب كل العرب فى صفوف المقاومة الشعبية ، للدفاع عن شرف القومية العربيـة . وصمـدت بور سعيد وأثبتت للعالم أجمع أنها فادية العروبة .

وذهل الاستعمار مرة أخرى عندما وجد مصر قد خرجت من المعركة أشد ماتكون من الاعتزاز والكبرياء وذهل مرة ثالثـة عندما تبين أننه فشل فى القضاء على القومية العربية بلّ على العكس تبـين له أن اعتداءه انما زاد القومية العربية اشتعالا وتأججا

تيار القومية الجارف

بعد الاعتداء الثلاثى سرى فى العالم العربى تياران ، أحدهماسافر واضح والثانى سرى ومستتر . الاول هو تيـار القوميـة العربيـة الذى ينادى بضرورة اتمام الوحدة العربية ، والتيار المستتر الخائف

هو تيار الاستعمار الذى يعمل على عرقلة الوحدة والتحرر . التيار
الاول يعتمد على الاحرار والشرفاء ولذلك كان واضحا وضوح
النهار ، والتيار الثانى يعتمد على الخونة والعملاء ، ولذلك كان
مظلما ظلام الليل . ساعد التيار الاول على تقارب مصر وسورية
وحملا معا مشعل الوحدة ، ونكس التيار الثانى الحركات التحررية
كما حدث فى الاردن ولبنان . نجح التيار الاول ـ تيار القومية
العربية ـ فى وضع أولى قواعد الوحدة العربية ، فأعلن الرئيسان
جمال عبد الناصر وشكرى القوتلى فى أول فبراير ١٩٥٨ قيام
الجمهورية العربية المتحدة ، وجن جنون التيار الثانى ـ تيار
الاستعمار ـ وجند أذنابه وأعلنوا قيام اتحاد عائلى مفكك . انتخب
الشعب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة وفرض
الحديد والنار ملك العراق رئيسا للاتحاد العائلى .

ولدت الجمهورية العربية المتحدة قوية وظلت قوية ـ ولا شك
فهى وليدة القومية العربية ـ بينما ولد الاتحاد الهاشمى ضعيفا
مسخا سرعان ما اندثر بقيام ثورة جيش العراق الباسل فى ١٤
يوليو ١٩٥٨ ، قامت ثورة العراق لتعلن انها من صنع القومية
العربية ومن أجل القومية العربية فكانت دعامة قوية من دعامات
هذه القومية ، تعتز بها وتفخر .

دمى الاستعمار

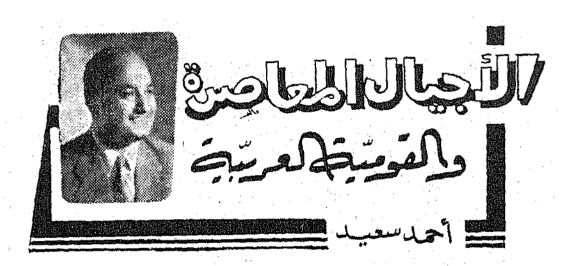
ولكن هل يسكت الاستعمار على اشتداد عود القومية العربية
ووقوفها فى وجهه كالحصن المنيع ... لمنعه من استعباد الاحرار
وكف يده عن استنزاف أقواتهم . لا مرة أخرى فانه لم يسكت ولن
يسكت ، فقد عودنا على تكالبه وتآمره . مع من اذن سيتآمر وقد
دك صرح كبير من صروح خياناته ..؟ انه هذه المرة يجد فرصة
سانحة متمثلة فى حاكم يحاول اعادة فرض نفسه على شعب لايريده

ولا يريد خياناته ، حاكم يقيم المجازر فى المدن والقرى ويقتل الابرياء فى الشوارع والميادين . فبادر الاستعمار الى هذا الحاكم يهمس فى أذنه بأن هناك تسللا من جارته يهدد سلامته ، وأن أمريكاواسطولها السادس على أتم الاستعداد لحمايته . وسرعان ماحضر الاسطول السادس الامريكى وأنزل قواته ... ثم هناك دمية أخرى . . لم لايحركها الاستعمار أيضا .. هناك ملك خائف ، يختبىء من شعبه ويخشى مواجهته ، فلماذا لايطلب القوات البريطانية لكبت شعبه ؟ وحماية ذلك الملك الخائف ــ أو الخائن ــ من ثورة شعبه ؟

تصميم . . وعزم

وهكذا ... كلها صور كثيرة من محاولات الاستعمار للنيل من القومية العربية حفاظا على مصالحه . شريط طويل يسجل الاحداث والذكريات .. شريط يحوى الانتصارات والانكسارات ، ولكن من تجاربنا يتضح أن الانتصار لايركبنا الغرور ولكنه يقودنا من نصر الى نصر ، وأن الانكسار انما يجعلنا أشد تصميما وعزما على تطهير صفوفنا من الخونة وأذناب الاستعمار ويجعلنا أكثر يقظة وحرصا فى الحفاظ على استقلالنا وحريتنا . وطالما نحن على انتصارنا وعلى يقظتنا وحرصنا فستسير هذه الامة العربية قدما الى الامام فى تحقيق أهدافها .. الى وحدة العرب ...

والى عزة العرب ...



المالك فى البناء يقابله الشعب فى الوطن

والمالك هو أساس كل بناء . وامكانياته واحتياجاته هى التى تدفع الى البناء من جهة ، وتحدد شكل البناء وأسلوب اقامته من جهة أخرى . وكذلك الشعب فى الوطن .. انه يريد أن يتطور ويتحضر ويصل الى أسمى مراتب التقدم ، حيث ينعم بحياة حرة ، ومستوى معيشة كريم .. وهذه الحياة المرجوة هى البناء الذى يريد الشعب العربى أن يقيمه ويقطنه .. وتحدد احتياجات الشعب وآماله فى الحياة المرجوة شكل البناء ، كما تحدد أوضاع الشعب الاقتصادية والسياسية والنفسية أسلوب هذا البناء ، ومراحل اقامته .

وهكذا يجب أن يجىء البناء العربى ..

تملكه الجماهير العربية ، ويشبع حاجاتها ، ويحقق أهدافها ويوفر لها أسباب التطور والارتقاء .

الجماهير الواعية

الجماهير هى كل الحركة القومية .. هى سببها ، وهى أسلحتها ، وهى وقودها ، وهى صاحبة كل جنيها ، وهى التى ستنزل بها

مصيرها ، وبدون الجماهير وايمانها بالحركه ، ورغبتها فى التطور ، وترابطها ، وتفاعلها التنظيمى والفكرى والانفعالى ، لايدوم وجودأية حركة ثورية مذهبيــة .. فلن يلبث الزمن بكل مافيــه من أعداء طامعين ، وانتهازيين متربصين من ضرب الثورة والتمكن منها .

وقد كان ايمان الجماهير بنفســها ، وبحقهــا فى حكم بلادهــا ، والتنعم بثرواتها ، شرط أساسى لاغنى عنه لأمن الدولة ، وتحررها ، وشيوع الرخاء بين جميع ربوعها ، ومختلف طبقاتها .

والاصل فى الجماهير كما أكدت الاديان وقال القادة والفلاسفة أنها جميعا تولد حرة وانها يجب أن تعيش حرة .

ولكن هذه الحرية تتأكد أو تزول وفق ظروف وعوامل خارجة عن ارادة الجماهير وعن رغبتها ..

ولا يمكن أبدا أن نتصور أو نقبل أن يرغب انسان فى العبودية.. لحرية جوهر أصـيل لصــق بالانسان وبالانســانية .. وتملكه ـفسـه وآرائه وجهده وعلمه كأساس طبيعى لحياته يتطلب قــدرا ـبيرا من الحــرية يتيح له أن يعيش الحياة التى تراها تثقفــه .. ويفكر فى الحيــاة فى تجرد وتحرر من كل ضغط .. ويعود عليــه وحده ثمــار جهده وعلمــه دون أن يخضــع لاى نوع من أنواع الاستغلال .

وايمان الانسان بحريته يعنى انمانه بتملكه لنفســه وسيطرته على تفكيره وارادته وأعماله وأقواله . ومن مجموع ايمان ابناء بلد معين ـحريتهم وما تنتــجه هــذه الحرية وتثمره من ايمانهم بملكيتهــم لانفسهم وسيطرتهم على تفكيرهم وارادتهم واقوالهم وأفعالهم تتكون الجماهير الواعية المتطورة وتصبح قوة هائلة تدفع نفسها وأجيالهــا ى حركات ثورية متتابعة نحو أهدافها المتزايدة فى كريم الحياة .

الحرية

وممارسة الجماهير لحرياتها خير مدرسة تتخرج منها الجماعة المثلى ويقوم عليها افضل بناء للمستقبل .

وتعد الحريات السياسية والفكرية والاجتماعية اساس المجتمع النموذجى .

وممارسة الجماهير لهذه الحريات دليل على تملكها لوطنها وللثروات ولمستقبل الايام .

وايمان الجماهير بملكيتها لبلادها وامكانياتها واجيالها ، تضعها فى أولى درجات المسئولية وتدفعها الى التطور بجماعتها وتلزمها بتحقيق أهداف هذه الجماعة فى حياة أفضل .

وتقف ممارسة الحرية السياسية على راس الحريات التى تحمل الجماهير الى مايجب أن تكون عليه من ايمان بملكيتها لوطنها وثرواته ومستقبله .

ويقول هارولد لاسكى ..

« ان وجود اى قيود على حرية الجماهير يعنى انعدام تواجد تلك الظروف التى تمثل فى المدينة الضمانات الضرورية لتفاعل المجتمع ودفعه للحركة نحو سعادة الفرد . »

وكثيرا مانسمع قول بعضهم ...

« ان ممارسة الحرية الفكرية على هذا النحو المجرد قد يتيح فرصا للفوضويين والمخربين واعداء البلاد لمزاولة نشاطهم ونشر سمومهم ... »

يقول الرأسماليون هذا الكلام عن الاشتراكيين ..

ويوجه الاشتراكيون نفس الاتهام الى الرأسماليين ...

وكل منهما يقف من الآخر موقفا عدائيا يستبد فيه بخصومه ويضطهدهم وينزل بهم ألوانا من المظالم على أساس من تخيطئ كل فريق منها للفريق الآخر بموجب معتقداته ونظامه وقوانينه .

ويخطئ الفريقان فى الحد من الحرية الفكرية والسياسية لجانب كثر أو قل من الجماهير .. وتحريم الدعوة لمذهب من المذاهب أو فكرة من الافكار يؤدى الى معاداة المؤمنين بها على قلتهم أو كثرتهم للدولة ونظامها ككل ويدفعهم الى العمل فى الخفاء بكل ما يتضمنه مثل هذا العمل المذهبى والسياسى المستتر من أخطار مدمرة وما يضطر الى اتباعه من أساليب مخربة .

وتعتبر الدولة التى تتيح حرية الرأى لجماهيرها أرقى أنواع الدول وأكملها تنظيما وثباتا .

ويعد كبت الحريات أو الحد منها أفدح خطر يهدد الدولة وجماهيرها ، فالثورات الداخلية وانهيار الدولة تحت ضربات أعدائها يرجع الى افتقار الدولة لمحبة جماهيرها وثقتهم فى نظامها واطمئنانهم الى أساليبها ... وحرية الرأى والنقد توقظ الجماهير وتحشد الرأى العام فى جميع المعارك التى تخوضها الدولة وتشعره بملكيته لمستقبلها ومسئوليته عن تطويرها ورفع المظالم عنها مما يمكن الدولة من كسب جماهيرها وثقتها وطاقاتها فى البقاء والنماء وتوفير الامن والرخاء .

الجماهير روح الدولة

والجماهير ــ كما خلقت وأكدنا ــ أصل كل حركة قومية وسببها ووقودها وتعود عليها وحدها كل نتائجها .

الجماهير فى الدولة كالروح فى الجسد ... هى سر الحياة وهى كل الحياة .. فان فقدها الجسد أصبح رمة وجب أن يحفر لها قبر تدفن فيه حتى لاتنتشر الامراض .. وكذلك الجماهير فىالدولة هى سر قوتها وهى كل كيانها . فان فقدت دولة محبة جماهيرها وثقتهاوايمانها بأنها مالكة أمرها ومصيرها حالت نهاية الدولةبأنظمتها المعادية للجماهير وأسرع أهلها يحفرون قبرها ويهيلون فوقها أتربة التاريخ

ان الجماهير ككل تملك الوطن .. وتملك كل حق فيه وكل حرية له .. واذا لم تراعى الاغلبية الحاكمة حقوق الاقلية المعارضة وحرياتها فى التعبير عن مبادئها ومعتقداتها والدعوة لها على أمل أن تؤمن بها الجماهير وتصبح بدورها أغلبية حاكمة فى مستقبل الايام، فاننا نكون قد سلمنا بديكتاتورية الاغلبية على أساس من الفهم الرجعى القديم أو التحليل الاشتراكى الحديث بأن الوطن وطن الغالبية .. والحريات حريات الغالبية والثروات ثروات الغالبية والمستقبل يجب أن يكون للغالبية ــ كأن الاقلية خائنة يجب الحد من حرياتها ويجب القاء أصحابها فى السجون أو قتلهم بالنفى أو الموت أو الاضطهاد والحرمان من ممارسة حقوقهم كمواطنين لهم فى وطنهم كل ما لاصحاب الاغلبية من حقوق .

ولكن ...

تمر الجماعات فى بعض مراحل تطورها بفترات تضطر فيها الى الغاء الحريات أو الحد من استعمالها مثل حالة الحرب . . وتنظم الدساتير أسلوب الدولة فى الانتقاص المؤقت من حريات جماهيرها وجعله قاصرا على فروع من حرية الرأى والاجتماع لاتمس جوهر هذه الحرية ولا يعطل نشاطها واضطراد نموه .. وتعد معارضة هذا الاستثناء ومهاجمته نوعا من الاكاديمية وان كانت سلطات بعض الدول تسىء استعماله .. وقد جاء الميثاق العالمى لحقوق

الانسان كما نصت الدساتير الديمقراطية المختلفة على تأمين البشر من طغيان حكامهم وشهواتهم واستغلالهم للجماهير . . ومفهوم الميثاق العالمى لحقوق الانسان كما نصت الدساتير الديمقراطية المختلفة على تأمين البشر من طغيان حكامهم وشهواتهم واستغلالهم للجماهير .. ومفهوم الميثاق العالمى لحقوق الانسان ومضمون أى دستور من دساتير الديمقراطيات أن البشر متساوون فى جميع الحقوق والواجبات وأن كل شعب يملك وطنه وأن الحريات هى المظهر الوحيد والدليل الرئيسى على قيام هذه الملكية

المجتمع العربى

وقد عاشت الجماعة العربية مئات السنين فى ظل حكم مستبد يحد من حرياتها ويمنعها من نقده ومناقشته .. وكانت الجماعة العربية قد شهدت حكما دينيا مستمدا من الاسلام نعمت فى فتراته الاولى القريبة من بدء الدعوة بكل ماحفل به الدين من سماحة وشورى وكل مافرضه من شروط للحاكم وحقوق للمحكوم وكل ما أكده من حريات للجماهير تنقد بها حكامها وتقوم بها حكمهم ، وتعد تعاليم الصحابى الجليل أبى ذر الغفارى وآرائه فى خلافة عثمان بن عفان ، وأفكاره التى أراد أن يقيم عليها أساس المجتمع العربى والاسلامى ، أول دعوة الى الاشتراكية والديمقراطية والاعتراف بحقوق الجماهير فى حكم البلاد وثرواتها بوصفها المالكة الحقيقية لها ولمصيرها .

وكان ظهور خلافة بنى أمية بداية لحكم استبدادى طويل عانت بلاد العرب من مظالمه عبر القرون وما زالت تعانى من بقاياه بعد انتصاف القرن العشرين .

ولم يكن الاسلام مسئولا عما صار اليه حال العرب والمسلمين .. فقد كان توارث الحكم فى بنى أمية بخلاف ما أمن به القرآن وسنة

الرسول من شورى فيما بين الصحابة بداية لسلب مانص عليه الدين من حريات للجماهير .

وقد جاءت خلافة بنى العباس ومن بعدها خلافة آل عثمان تهدد كرامة الجماهير وتسلبها حقوقها وتشوه معانى الاسلام وأسسه فى الحكم واحترامه لحريات المحكومين .. وقد أمعن هؤلاء الخلفاء - فيما عدا قلة ضئيلة منهم مثل عمر بن عبد العزيز - فى النيل من الجماهير واستغلال الاسلام فى التحكم فيهم وقهر ارادتهم وسارت على نفس الدرب الذى سارت فيه الكنيسة البابوية فى روما خلال القرون الوسطى حتى أنها ادعت ملكيتها لما أسمته بصكوك الغفران وأحلت لنفسها اعلان كفر خصومها وخروجهم على الدين

والمجتمع اليوم فى الوطن العربى وليد أجيال وقرون من الاستبداد والاستغلال والاهمال .. تحمل نفسية أبنائه فى أعماقها جذور الحرية شأن جميع المجتمعات .. وقد حال طول الاستبداد والاستغلال والاهمال دون نمو جذور الحرية وازدهارها .

ولم تكن الجماهير فى البلاد العربية اسوأ حالا من الجماهير فى أى بلد أوروبى من حيث احترام الحريات وحقوق الانسان .

وكانت الثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر بداية لدعوة شملت أوربا ومصر تدعو لشعارات ثورة الجماهير فى فرنسا .. الحرية والاخاء والمساواة .

وقد قادت هذه الشعارات الجماهير فى كل جزء من أجزاء العالم حتى خرجت بشعارات الفكرة الاشتراكية تأخذ منها الجماهير مايتفق مع احتياجاتها ويتناسب مع مفاهيمها وقد تجسد فيها بوضوح وجلاء الهدف الحقيقى من احترام حريات الجماهير الذى يؤكد للجماهير ويغرس فيها الايمان بملكيتها الكاملة لوطنها وثرواته ومستقبله .

والمجتمع اليوم فى الوطن العربى وليد اجيال وقرون من الاستبداد والاستغلال والاهمال .. تحمل نفسية أبنائه جذور الحرية شأن جميع المجتمعات .. وقد حال تعاقب قرون الطغيان دون نمو جذور الحرية وازدهارها وشمول ظلالها للمجتمع العربى تدفع عن أجياله استبداد الطغاة واستغلال الرأسمالية واهمال الديكتاتوريين

ونحن نذكر جميعا كلمة جمال عبد الناصر الخالدة :

« ان الثورة أعادت الوطن الى أصحابه .. وان القومية العربية ليست فردا أو أفراد ... ليست جمال عبد الناصر والعاملين مع جمال عبد الناصر ... انها الشعب العربى فى كل مكان .. وانها ارادة الشعب العربى فى كل مكان ... »

ايمان جديد

وقد كشف جمال عبد الناصر عن جوهر ثورته وفهمه لحقيقتها فى تلك الكلمات اللاارادية التى هتف بها على اثر اطلاق الرصاص عليه فى ميدان المنشية بالاسكندرية علم ١٩٥٤ عندما قال :

« ليقتلونى .. فقد أودعت فيكم العزة »

« ليقتلونى .. فقد أنبت فى هذا الوطن الحرية والكرامة .. »

فقد كان جمال عبد الناصر يعلم أن نقيصة الشعب الكبرى تكمن فى عدم فهمه لحريته وعدم تقديره لها وتخاذله فى المطالبة بها والمحافظة عليها .. وكان جمال يؤمن أن ثورته من أجل حرية الجماهير وادراكها لقيمة الحرية وأساليب استعمالها لحقوقها فى حرياتها ووسائل المحافظة عليها ضد الطغاة والمستبدين والمهرجين والمخادعين .

وأيا كان نوع التنظيمات وأسلوبها فى العمل ، فان ايمان الجماهير ، بملكيتها للوطن — ثوراته وحكومته ومستقبله — يجب ان يكون دائما

هدف أية دولة تحرص على محبة الجماهير لهـا وثقتهم فيهـا وارتباطهم بها وفدائهم لها ولنظامها وقوادها ... واحترام حريات الجماهير وحماية حقوقهـا على أسـاس من ملكيتهـا لوطنها ككل السبيل الوحيد لقيام الدولة وبقاء الدولة .

وهنـا :

في بناء المستقبل العربي ...

لايكفي ايمان الجماهير بملكيتها لوطنها .

فلا بد من ايمان الجماهير بعروبتها ووحدتها .

وقد تناولنا في دراساتنا لواقع المجتمع العربي ونشوء القوميـة العربية ايمان الجماهيربالعروبة والوحدة .. وقد أنجب هذا الايمان ايمانا وليدا مازال يحبو ويحتاج الى رعاية وحماية .. ويقوم الايمان الوليد على انقاض الروح الاقليميـة التي كانت تتنازع وتتقـاسم الشعب العربي .

ففي سـوريا ومصر مثلا بدات الجماهير تتخلى عن اقليميتهـا السورية وأقليميتها المصرية وبدأ ابن سوريا ينعم بحقوق ابن مصر، وأخذ ابن مصر يمارس حقوقه العربية في سوريا ... وكان انتخاب الجماهير في سوريا لجمال عبد الناصر رئيسا لها في ظل الجمهورية العربية المتحدة بداية للايمـان الجديد بأرض العـرب من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي كوطن يمثله ويمكن اى من ابنـائه سواء كان من أقصى المغرب أو من أقصى المشرق ومن ابناء أدغال السودان أو من أخوتنـا أكراد العراق كمـا كان الوطن العربي خـلال الايام الخالدة التي قاده اليها صلاح الدين الايوبي .

وبعد القضاء على نعرات الاقليمية ونشر الايمان بالملكية الجديدة لكل الارض العربية من المحيط الاطلسي الى الخليج العـربي ، لكل

جماهير الوطن العربى من المحيط الى الخليج عنصرا رئيسيا من عناصر بناء المستقبل العربى .. فلا بد للبناء من مالك .. والجماهير هى التى تملك كل بناء .. ولكنها ويجب ان تؤمن ابتداء وبداهة بأنها هى التى تملكه وأرضه وخاماته ومستقبله وماتريده وتحدده له من مصير .

مجتمعنا والايمان الوليد

وتنقسم الدعوة للايمان الوليد حسب أجيال المجتمع العربى المعاصرة الى ثلاثة انواع ..

الاول ... ويختص بجيل الشيوخ ومن هم فى حكم الشيوخ ثقافة وفهما وانفعالا بروح العصر وتطور الشعب العربى .. والدعوة للايمان الجديد بين أبناء هذا الجيل تواجه رجعية متخلفة تتطلب تبصيرهم بما أحرزه أبناؤهم من انتصارات تحققت فيها أحلام الشيوخ وأمانيهم وفى حرية بلادهم واستقلالها على هدى من السياسة العربية التحررية وارتباط الشعب العربى ووحدته النضالية التى شهدوها ولمسوها وقد تجسدت فى أول لقاء للدماء العربية عند العدوان على مصر عام ١٩٥٦ .

وبعض الشيوخ ومن فى حكمهم فهما وثقافة يمثلون مصالح تتضارب وتتعارض مع مصالح التطور الذى قررت الجماهير العربية أن تدخله على مجتمعها . وقد حدت الثورات العربية الاشتراكية وخاصة ثورة مصر ١٩٥٢ - من قوة هذا الجيل وسيطرته بقوانين الاصلاح الزراعى وعضوية الشركات ... وهؤلاء الذين يمثلون جميع المصالح التى لاتعيش الا فى ظل الانعزالية والرأسمالية يتطلبون يقظة من الدولة ووعيا من الجماهير وفى مقدمتها جيل الثورة العربية الاشتراكية حتى يتم القضاء على

قدرتهم على العودة بالشعب العربى الى ماكان فيه من فاقةواستعباد وحتى تحرر منهم أسرهم وأجيالهم القادمة وتزول تدريجيا معالم وجودهم واتجاهاتهم ومصالحهم وأحقادهم .

والثانى .. ويختص بجيل من أشرقت عليه شمس القوميـــة العربية وأبناؤه فى مراحل النضج العقلى والسياسى وقد حمل هذا الجيل عبء تطوير مجتمعاته المتناثرة فى بلاد العرب على اســـاس من الحياة بعيد عن الفكرة العربيـــة .. وان كان قد وصل بارادته وعلمه أو بدون ارادته وعلمه بالشعب العربى فى جميع اجزاء الوطن الى المرحلة المعاصرة ومهد للثورة العربيـــة الاشتراكية . وسيقف هـــذا الجيل معجبـــا من تطور جهاده وجلا منه ومن مسئولياته الضخمة الجديدة التى يلقيها عليه هذا التطور . وتتسع قاعدة هذا الجيل وتشمل جانبا كبيرا من الجماهير العربية القادرة على الحركة والمسيطرة على اغلب أجهزة الحكم والتوجيه والتثقيف فى البـــلاد العربية .. مما يضفى على هـــذا الجيل اهمية خاصة فى المجتمع وتطويره فى نفس الوقت الذى يجعله عنصرا خطرا علىالتطور المرجو للمجتمع العربى .. فقد نشأ هذا الجيل على أفكار اقليميةاختلطت بها اتجاهات عربية غير واضحة المعالم .. وقد برز من ابنائه نفـــر قليل آمن بالعروبة وبوحدة جماهيرها حتى وصل ببلده الىشاطىء الوحدة مثل المواطن العربى الاول شكرى القوتلى .. ولكن الغالبية الساحقة من أبناء هذا الجيل لاتفهم عن الفكرة العربية غير مايمر بهم من أحداثهـــا ومعاركهـــا .. وهؤلاء تقـــع عليهم وعلى العروبة ككل وجماهير ودعاة ونظـــام قام فى سوريا ومصر مسئولية دعوتهم الى الايمان بالقومية العربية وباشتراكيتها حتىتقضى تماما علىشكوكهم فى العروبة وجدواها وعائدها على أجيالهم . فهم مسئولون فىالدرجة الاولى عن تخلفهم وعدم سعيهم للحاق بالجيل الصاعد المؤمن بالفكرة العربية ... وقادة القومية العربية مسئولون فى الدرجة الثانيـــة عن مساعدة هذا الجيل فى فهم العروبة واشتراكيتها والايمان بهـــا

دون أى حفظ أو تشدد . . . واعادة صياغة تاريخ الحركات التحررية للبلاد العربية وبيان حقيقة ترابط نضالها وتساند جماهيرها من أهم سبل الدعوة للقومية العربية بين أبناء هذا الجيل . . وقد استطاعت الصين أن تجد حلا لمشكلة هذا الجيل بايجاد المدرسة الاشتراكية بجانب المصنع أو الادارة . . وتستطيع الادارة الحكومية والاهلية والجمعيات التعاونية والمساجد والكنائس أن تقدم للجماهيرالعربية من هذا الجيل سندا لها وأهدافها واتجاهاتها . .

الثالث . . . ويختص بالجيل الذى يتلقف دعوة القومية العربية وانفعل بهـا وانطلق يناضل بالكلمة والدماء والتضحيات من أجـل تحقيقها وتجسيدها فى دولة العرب الواحدة ويحمل هذا الجيـل بين ثنايا نفسيته وتفكيره جميع عناصر الاقليمية والرأسماليـة فى حالة من النشاط تهدد أمانيه وكفاحه . . ويحتاج هذا الجيـل الى تعميق أفكاره العربيـة وحماية اتجاهاته القومية من أن تضطرب أو يعتور اندفاعها ضعف . ويعد ارتباط هذا الجيل بقادة القوميـة العربية وتطورها الشرط الاساسى لنجاح الحركة العربية . . فـلا يوجد فى الدنيا قادة دون جيش يحمل السـلاح والايمان وكل ما يمكن القادة من الاعداد . . والجماهير المؤمنة بالعروبة والمسلحـة بالثقة المتبادلة بينها وبين قادتها هى وحدها القادرة على مواصـلة تحقيق وحدة البلاد العربية وخلق أجيال متتابعة تحمل عنهـا مسئولية وحماية الدولة العربية الواحدة .

الرابع . . . ويختص بجيـل النشء الذى يستفتـح مداركـه السياسية والوطنية على القومية العربية ووطن العرب والشعارات العربية وقيام دولة العرب على أسس اشتراكية . . . ويتطلب هذا الجيل أن تقوم الدولة ــ على اختلاف اداراتها الرسمية والاهليـة ومنظماتها وهيئاتها الشعبيـة ــ بمسئولياتها على عروبة أصـيلة

ذت جذور عميقة فى نفسه تصل الى اول مانطقه ودعاه من عبارات وشعارات فلا تشوب تكوينه الفطرى والثقافى والسياسى شـوائب الاقليمية ولا تجـد لديه مكانا او استعدادا لتلقيهـا وتنميتها . وتتحمل المدرسة ـ على اختلاف مراحل التعليم ـ المسئولية الاولى فى تكوين عروبة هذا الجيل . وتحمل الصحافة المسئوليةالثانية .. وكذلك أهل الفكر والفن المؤمنون بالعروبة ووحدتها تقع على عاتقهم نفس المسئولية .

الشعب العربى بانى المستقبل

وان ايمان الجماهير بحريتها وعروبتها شرطان أساسـيان لخلق الشعور بملكيـة جميع أجزاء وثروات الوطن العربى .. وهـذا الاحساس الواعى بملكيـة الوطن ككل هى الدافع الرئيسى لحركة الجمـاهير وثروتها الدائمة لتطور مجتمعهـا وتحقيق أمانيه وحماية مكاسببه .

ولدى المجتمع الذى يؤمن بملكيته لوطنه دوافع وامكانيات تيسر له تطوير ملكه والدفاع عنه أكثر مما لدى المجتمع الذى يشـوب ايمانه بملكيته اتجاهات حاكم فردى منعزل عن الجماهير أو مصالح قلة رأسمالية احتكارية استقلالية مسيطرة .

هذا هو الشعب العـربى ، مالك لبنـاء المستقبل ، يدرك معنى ملكيته للوطن ، وحرياته ، وثرواته ، ملكية مطلقة ، تعود على أجياله المتعاقبة بكل مايريده لها من أمن وحرية ورخاء



القومية العربية عند أى امة حقيقةموجودة وان لم يشعراصحابها بهذا الوجود ، وليس معنى ذلك ان هذا الشعور كان معدوما تماما ولكنه كان مبهما غير واضح المعالم لديهم

وهناك أمثلة عديدة وشواهد تؤيد وجود هذا الشعور منذ أقدم العصور .

اللغة عماد القومية

والقوميـــة العربية موجودة بكل مقوماتها منـــذ القدم لدى أمـــة العرب ، وفى مقدمة الروابط الرئيسية التى تجمع أفراد الامة رابطة اللغة ، وما يتبعها من وحدة الثقافة . فاللغة عماد الرابطة القومية . وهذه الكلمة الصغيرة ليست صغيرة المدلول . فعندما يتكلم مجموعة من الناس لغة واحدة ، فمعنى ذلك أن بينهم من الروابط مالا يعــده الحصر ، وسأتخذ من اللغة بعد ما رأينا من آثارها القومية فى أحداث التاريخ ، سبيلى الى الكلام عن القومية العربية .

---

* القيت فى مارس ١٩٥٨ بوزارة التربية والتعليم بالاقليم الجنوبى .

مابين المحيط الاطلسى والخليج العربى تسكن مجموعة كبيرة من البشر يتكلم أفرادها اللغـة العربيـة . ولم يكن من باب الصدفة أن يتكلم هؤلاء الناس كلهم اللغة الواحدة ، ففى عصور قديمة لم يكونوا يتكلمون كلهم هذه اللغة ، وانما انتشرت بينهم منذ أربعة عشر قرنا، وبطبيعة الحال لم يتعلموها بالمدارس كما نفعل اليوم لتعلم اللغات الاجنبية ، وقد تم هذا الاختلاط عبر عصور تاريخية طويلة ، ولم يقتصر هذا الاختلاط على العرب وسكان كل قطر على حدة وانمـا تم بين سكان الاقطار المختلفة بين بعضهم أيضا ، ولا اقصد بذلك اختلاط الجنس والدم ، فربما لم يتم ذلك الا فى حدود ضيقة وانما أقصد اختلاط الثقافـة بالدرجة الاولى يتبعـه تشـابك المصالح الاقتصادية والسياسية والتعرض لاخطار واحدة بحيث نشـأ فى كل هذه البلاد مجتمع جديد يتكلم افراده اللغة العربية ويعيشـون فى ظل نظام سياسى واحد أو متشابه ، ويتذوقون أدبا واحدا وفنا واحدا ويخضعون لمعاملات اجتماعية واقتصادية واحدة ويقرأون فى أقصى المغرب ماينتجه المفكرون فى أقصى المشرق ، فلا عجب ان نشأ بينهـم تعاطف متبادل وشعور بأنهم امـة واحدة بعـد كل هذا التشابه فى كل مظاهر الحياة

دعائم الوحــدة

وهكذا فعندما تتكلم مجموعة من الناس لغة واحدة فليس هذا حدثا عارضا ولكنه يدل على وحدة التاريخ فى عصور طويلة وعـلى وحدة الثقافة وعلى وحدة الحياة الاجتماعية وعلى التعاطف العميق، وبالتالى على النظرة الموحدة الى المسـتقبل وليس أقوى من ذلك فى تجديد الدعائم التى تقوم عليها وحدة الامة .

وقد يعرض فى هذا المجال سؤال خطير هو : هل يكفى أن يتعلم

شعوب المنطقة اللغة العربية لتصبح ثقافتها وحياتها الاجتماعية صورة من حياة العرب الفاتحين ؟ وهنا لابد لى من القول بأن العروبة التى أعنيها ليست عروبة الذين خرجوا من الجزيرة العربية وانتشروا فى أقاصى المغرب والمشرق ، فهؤلاء نشروا لغتهم ودينهم وبعض تقاليدهم ، ولكن الثقافة العربية التى أعنيها انما هى نتاج نماذج الثقافات المختلفة التى كانت موجودة فى المناطق المفتوحة فى الاصل والتى أثرت بالعرب الفاتحين كما أثروا بها ، فهذه الثقافة أخذت طابعا جديدا لاهو نتاج عرب الجزيرة وحدهم ولا هو نتاج كل منطقة من المناطق لوحدها ، ولكنه نتاج النماذج والاختلاط ، فمن كل قطر خصائص حملتها اللغة العربية الى الاقطار الاخرى فتبنتها وأصبحت جزءا من ثقافتها وأصبحت مجموعة هذه الخصائص والثقافات هى الثقافة العربية الموحدة التى أصبحت عماد القومية العربية .

وحدة المفاهيم الاجتماعية

فعندما نتكلم عن القومية العربية اذن فنحن لانتكلم عن عرب الجزيرة العربية ، وانما نتكلم عن أمة جديدة نشأت وتكاملت خلال قرون طويلة بعد الفتوح العربية وأصبح لها تاريخ واحد وخصائص واحدة ومصير واحد وكانت اللغة العربية هى مظهر هذه الوحدة والمعبر عن وجودها وأكبر برهان على حياتها المشتركة .

اذن من وحدة اللغة نستنتج وحدة التاريخ ونستنتج وحدة الثقافة وما دامت المؤلفات العربية تقرأ فى جميع أنحاء الوطن العربى فمعنى ذلك ان الآراء والافكار ستتماذج وتتبادل وتتوحد ومعنى ذلك أن المفاهيم الاجتماعية ستنتقل من كل قطر الى الآخر وتؤثر فى سكانه ، ومعنى ذلك أن العادات والتقاليد ستتقارب الى أبعد حدود القرب ، ومعنى ذلك أن سكان المنطقة كلها سيشعرون بأنهم أخوة وأقارب ، وسيؤدى تعاطفهم الى التعاون ، وتعاونهم الى زيادة التعاطف ، وستصبح نظرتهم الى المستقبل واحدة ، فيربطون مصيرهم بعضهم ببعض ، وهكذا تصبح الامة التى يتكلم أفرادها

اللغة العربية موحدة التاريخ والثقافة والحياة الاجتماعية ، وموحدة المصير ، وليس أقوى من هذه العناصر لتكوين أمة كأقوى مايكون التكوين .

آخاء وسلام

ويمكننا أن نضيف الى ذلك أن الامة العربية تسكن بلادا لا انقطاع بينها ، فأراضى الوطن العربى مستمرة متصلة لاتفصل بينها المحيطات ، ولم تحدث فى عصور التاريخ ضغائن بين سكانها تدعو الى الفرقة والانقسام ، وانما كان العكس دائما ، فطالما تعاونت هذه البلاد على رد المعتدين ، والاعتداءات الاوربية لم تقتصر على منطقة من مناطقها منذ الحروب الصليبية ، وكذلك تعرضت لغزوات المغول والعثمانيين ، وقد تعاونت ما مكنتها ظروفها على هذه الاعتداءات ، واذا حدث فى بعض ظروف التأخر ان التعاون لم يتم ، فان أى قطر منها لم يرض أن يكون آلة بيد المغتصبين للاعتداء على الاقطار الاخرى . ولم يحدث فى أى ظرف من ظروف التاريخ أن استغل قطر منها اقتصاد القطر الآخر واعتبره ملحقا به مؤمنا لمصالحه . فارتباط الارض وعدم وجود الضغائن والاستقلال هو الذى متن أواصر القومية العربية وجعلها تختلف عن بعض الحالات التى نجدها فى التاريخ الحديث من وجود أكثر من أمة واحدة فى محيط اللغة الواحدة .

تنوع التفكير دعم القومية

وقد أسمع من يقول : ولكن هذه المجموعة من الناس التى تتكلم اللغة العربية يوجد بين أجزائها كثير من الاختلافات فى العادات وانماط التفكير والادب حتى ليصح أن تكون أمما مختلفة ، ويستشهدون على ذلك ببعض الامثلة المستمدة من التاريخ القديم السابق الانتشار ، ومن ذلك بعض الاعياد المحلية ، وبعض التقاليد المتعلقة بالموتى وتأثير الاقليم المحلى على الادب .. وأنا

أجيب على أن هذه الاختلافات ليست كما يتصورون ، فهذه الاعياد والتقاليد انتشرت من قطر الى قطر وأصبحت عامة أو شبه عامة ، واختلافات الادب لايصح أن تسمى اختلافات بالمعنى الصحيح ، وحتى لو وجدت هذه الاختلافات الصغيرة فان لها أشباهها فى أكثر الامم المعروفة تماسكا فى قوميتها . ففى فرنسا وانكلترا توجد اعياد محلية ببعض المناطق ، فعندما يشترك الفرنسيون الجنوبيون بأعياد القطاف لايشاركهم بذلك فرنسيو الشمال لانهم لايملكون الكروم التى يقطفون عنبها،ولسكان السواحل عادات تختلف بعض الاختلاف عن عادات سكان السهول الزراعية ، وايحاء الادباء الذين يسكنون سواحل البحر يختلف عن ايحاء من يسكن منهم سفوح الجبال ؛ ولكن هذه الاختلافات لم تؤد يوما من الايام الى تمزيق قومية الفرنسيين أو الانجليز وانما كانت عاملا لتدعيمها وتكاملها وتنويع عناصر الابداع فى عبقريتها .

وقد أسمع من يقول : ولكن هؤلاء الذين يتكلمون العربية يختلفون فى لون بشرتهم وطول قامتهم وشكل رؤوسهم ، وانما أقول ليس ثمة أمة يتفق كل أبنائها فى ذلك

فان سكان فرنسا الجنوبيين هم من عناصر البحر المتوسط سمر الوجوه متوسطو القامة طوال الرؤوس ، بينما الشماليون منهم يومنا هذا مجموعة من الدويلات التى لاتربط بينها رابطة . وقد سود بينهم الصفات الشمالية من شقرة فى الشعر وطول فى القامة، ومع ذلك لم يخطر ببال أحد من الفرنسيين ولا من غيرهم أن الشمال والجنوب أمتان مختلفتان . وما ذكرته عن فرنسا فى ذلك ينطبق على كل أمم الارض ، لان تكوين الامة لايعتمد على الجنس ولم يعد أحد يؤمن بذلك فى اية منطقة من العالم .

وقد أسمع من يقول : ولكن من مقومات الامة أن تعيش ضمن دولة ، ويعطون لذلك تعريفا للامة بأنها التى تعيش فى وطن واحد تحكمه حكومة واحدة

وفى هذا المجال قد يطول الحديث .. ان هــذا التعريف للامة أعطاه مفكرون يعيشون فى أمة أتمت وحدتها السياسية منذ عصر طويل ، فهم اذن قد أعطوه من واقع أمتهم . وأكثر المؤمنين بذلك هم من الفرنسيين والانجليز وأحيانا كانت لهم غايات سياسية من وراء ذلك ، فلم يكونوا ينظرون بعين الارتياح الى توحيد أجزاء الامة الالمانية أو الى لم شعث الامة الايطالية . ولو آمن الالمان والايطاليون بتلك النظرة لمــاتحققت لهم وحدة قومية ، ولبقيت الامتــان حتى يومنا هذا مجموعة من الدويلات التى لا تربط بينها رابطة . وقد استفاد رجال السياسة وأصحاب العروش من ذلك حتى فى المانيا وايطاليا للابقاء على سلطانهم وعروشهم أمام ضغط الشعوب التى كانت تطالب بالوحدة أو الاتحاد ، حتى أن مترنيــخ عنــدما سمع باتجاه الايطاليين الى توحيد بلادهم قال : ان ايطاليا انما هى اصطلاح جغرافى لايعنى وجود أمة ايطالية تعيش فى شبه الجزيرة ، ولــكن هذه لمحاولات النظرية والسياسية لم تمنع مع ذلك الامتين الالمانية والايطالية من اتمام وحدتهما القومية .

ونحن نسمع هذا التعريف من بعض المفكــرين المصريين حتى فى يومنا هــذا ، والواقع أنه تعريف قانونى لايمت الى الواقع والرابطة القومية بصلة وقد أخذوه من مدارس الحقوق التى درســوا بهــا فى فرنســا وانكلترا أو ممن درســوا فى أمثــال هذه المدارس ، ولو كانوا أكثر واقعية وتعمقــا بحقيقة العلاقات القوميــة لاســتمدوا تعاريفهم من واقع أمتهم القومية ، ولما اعترفوا بالحدود والحكومات التى أوجدها الاستعمار فى الوطن العربى للفصل بين أجزائه فهــذه الحدود والحكومات انما هى مظهر عارض لاينفذ الى صميم الحقيقة التى تنادى بها جماهير الامــة العربية فى مختلف أقطارها وتعمــل لهــا وتضحى فى سبيلها وتنتظر بصبر نافذ ذلك اليوم الذى يتحقق فيــه وحدتها القومية ضمن حدودها الطبيعيــة وفى ظل حكومــة واحدة .

الحدود لا تعوق الوحدة

واذا أخذنا بتعريف الامة ضمن الدولة لوجدنا تناقضا غريبا فى أحقاب التاريخ ولرأينا ان الامة قد تتسع وقد تضيق تبعا للظروف التى تحيط بها ، فقد تشمل الدولة جزءا من الامة أو كلها أو قد تشمل أمما مختلفة لا رابطة بينها الا رابطة الحكم ومن تاريخ أوربا ذاتها نأخذ كثيرا من الامثلة : فهل كانت مجموعة الناس التى تعيش فى بروسيا امة قائمة بذاتها قبل الوحدة الالمانية ، وهل كانت مجموعة الامم التى تعيش ضمن الامبراطورية النمسوية أمة منسجمة عندما كانت تحكمها حكومة واحدة ، وهل كانت مصر وباقى الامة العربية تؤلف مع الاتراك والالبان واليونان وغيرهم أمة واحدة عندما كان يحكمها الباب العالى . أعتقد أن الجواب على ذلك واضح كل الوضوح ، اذ لاعلاقة بين مفهوم الامة وبين اشكال الحكومات التى تتعاقب عليها أو على بعض أجزائها أو تربطها بغيرها من الشعوب ، لان الامة حقيقة قائمة بذاتها مهما اختلفت عليها أشكال الحكم من تجزئة أو توحيد .

وفى تاريخ الامة العربية نفسها أمثلة كثيرة على ذلك فلا نجد اى قطر من أقطارها احتفظ لنفسه بحدود ثابتة مدة طويلة من الزمن ، فقد كان الوطن العربى كله فى ظل حكم واحد طول عهد الامويين وفى مطلع حكم العباسيين ، ثم قامت الاطماع فى رؤوس بعض الحكام دون أن يكون للشعب رغبة أو رأى بذلك ، فاقتطعوا لهم بعض الاقاليم وأقاموا عليها حكمهم ولم تكن حدودهم ثابتة لانها لم تكن حدودا طبيعية تفصل أمما عن بعضها وانما كانت حدودا مصطنعة ، ولذلك كانت تتسع أحيانا وتنكمش أحيانا أخرى وتتغير رقعتها حينا بعد حين ولم يكن ذلك كما قلت ، بارادة الشعب الذى كان يأمل لم الشعث أمام الاخطار وانما كان بدافع من أطماع الحكام والمنفذين ، وهكذا كانت التجزئة التى تمت فى بعض الظروف مصطنعة ليس لها حدود ثابتة فنرى الحكام الطولونيين والاخشيديين يقصرون حكمهم على مصر أحيانا ويمدونه على الشام أحيانا أخرى، ونرى الفاطميين يبدأون حكمهم فى افريقيا (أى تونس الحالية) ثم يمدونه الى مصر ثم الى الشام ثم تنفصل عنهم المنطقة التى بدأوا

حكمهم بها . فهل كانوا ضمن هذه الحدود المضطربة يحكمون أمة تختلف عما كان يسكن فى المناطق المجاورة ، ثم نرى الايوبيين يخرجون من الشام ويمدون حكمهم الى مصر ويحملون راية الدفاع عن الوطن أمام أخطار الصليبيين الاوربيين الذين احتلوا فلسطين ومناطق أخرى من الشام ، كذلك كان شأن الحكام الاغالبة الذين امتد نفوذهم على كل أفريقيا الشمالية أحيانا وانكمش أحيانا أخرى، ولست أذكر هذه الامثلة على سبيل الحصر لانني لست فى مجال سرد حوادث التاريخ وانما أذكرها على سبيل التمثيل لاخرج منها بنتيجتين : الاولى أنه لم يكن شكل الحكم وحدود الداول فى أى عصر من عصور التاريخ حتى فى الماضى يحدد مقومات الامة ، والثانية أن التجزئة التى شهدها الوطن العربى فى بعض ظروف الماضى لم تكن ثابتة ، والمناطق التى شملتها كانت متعددة ، وانما كانت التجزئة نتيجة للاطماع الفردية التى كانت تجول فى رؤوس الحكام .

الاستعمار يحطم القومية

وفى القسم الاسيوى من الوطن العربى تدخل الاستعمار ليقضى على الصوت الداوى الذى كان يطالب بتوحيد البلاد فى ظل حكومة واحدة على أساس قومى ، وجزئت البلاد الى دويلات فمن دولة فى اليمن الى أخرى سعودية وثالثة فى العراق وجزئت بلاد الشام نفسها الى منطقة جنوبية تحت الانتداب الانكليزى قسمت بدورها الى الاردن وفلسطين ، ومنطقة شمالية تحت الانتداب الفرنسى قسمت فى بادىء الامر الى مجموعة لاتصدق من الدول هى دولة لبنان ودمشق وحلب والعلويين والدروز وأوجدت لكل دولة حكومة ، فهل كان معنى ذلك أن سكان حلب أصبحوا قومية قائمة بذاتها ؟ أو هل كان الدمشقيون كذلك ؟ وهل أصبحت الاردن التى كانت دائما جزءا اداريا من دمشق تضم قومية أردنية جديدة ؟ والعراقيون الذين ساهموا فى كل حركات التحرر العربى ضد الانكليز وضد حكامهم هل أصبحوا قومية عراقية لاتمت الى العروبة بصلة ؟ وسكان الجزيرة العربية الذين هم أصل اللغة العربية ألم يعودوا عربا بعد ؟ . وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية حاول الاستعمار أن يقسم ليبيا الى ثلاث دول فهل لو نجح فى ذلك قامت فى ليبيا قوميات ثلاث ؟ وأخيرا فهل قيام حكومة فى مصر منذ مطلع القرن التاسع عشر دليل على أن مصر

قومية خالصة لاعلاقة لها بالامة العربية ؟

أنا أقول كلا فكل هذه الجماهير العربية تنتمى لامة عربية واحدة لاشك فى ذلك ، وهذه الامة التى ينتشر أفرادها من الخليج العربى الى المحيط الاطلسى لهـا مقومات الوحدة التى تعتمد على اللغـة ، وبالتالى على وحدة التاريخ ووحدة الثقافة ولها مصير واحد ، واذا ظهر الشعور بالانتساب لهذه الامة أوضح فى بعض الاقطار منـه فى أقطار أخرى فان لذلك أسبابا مصطنعة ساهم فى خلقها الاستعمار والظروف والمرض العارض فى عضو لاينفى الوظيفة الاصلية لهـذا العضو ، وعلينا نحن أن نكشف الداء ونصف الدواء عسى أن نساهم فى خدمة أمتنا العربية بعض المساهمة . والواقع أن هـذه النقطة بالذات هى أخطر نقطة فى الموضوع : لمـاذا لايؤمن بعض العرب بأنهم عرب ؟ بعبارة أوضح ، لمـاذا لايؤمن بعض المفكرين المصريين بأنهم عرب ؟ ولمـاذا كانوا لايؤمنون بذلك ؟

ايمـان وثقة

ان الامـة العربية قائمة وهى حقيقة واقعـة بكل المقومات التى ذكرتها وهى حقيقة واقعة من الناحية العلمية بغض النظر عن قوة الشعور بها أو ضعفه وشأنها فى ذلك شأن كثير من أمم العالم التى نما الشعور بالانتساب اليها واتضح اتضاحا كاملا خلال القرن الماضى رغم وجودها فى عصور أقدم من ذلك ، وقد كانت ظروف الامـة العربية واتساع أراضيها وأطماع الدول المسـتعمرة بأجزائهـا هى السبب فى تباين نمو هذا الشعور بين أجزائهـا فى هذين القـرنين الاخيرين

قوميـات

وعنـدما جاءت أسرة محمد على وأرادت أن تقطع صـلة مصر بالدولة العثمانية حيث تمتع المصريون بكيان خاص دون بقية بلاد العرب . فى هـذه الاوقات كان تاريخ مصر القديم ينبش من تحت الرمال وتنشر أخباره وتعالج آثاره فتأثر المصريون بذلك ، واعتزوا بتلك الحضارة القديمة . ولمـا كانت روح العصر هى روح القوميات ، فقد مالوا للانتساب الى هذه القومية المصرية القديمة . وعنـدما

خضعت مصر بعد ذلك للحكم الانجليزى شجع المستعمرون هذا الاتجاه لابعاد مصر عن البلاد العربية وعن الدولة العثمانية لكى يسهل عليهم حكم البلاد .

وهكذا ظهر الاتجاه للقومية الفرعونية بمصر . على اننا نكون مغالين اذا اعتقدنا أن هذا الاتجاه قد تغلغل فى جميع أفراد الشعب، وآمنوا كلهم به ، فقد آمن به جماعة من المثقفين الذين وجهوا اليه من قبل المستعمرين والمتعاونين معهم من الحكام . أما سواد الشعب فقد بقيت الفكرة القومية غامضة لديهم ، ومع ذلك فانه كان يشعر شعورا معنويا غير واضح المعالم بأنه عربى ، وأفراده هم « أولاد عرب » كما كانوا يسمون أنفسهم . وأحيانا هم مسلمون ليتميزوا عن الاجانب . وقد ظهر فى بعض الصفوف من القواد المصريين من شعر برابطة مصر مع البلاد العربية ، فدعوا لهذه الرابطة بغض النظر عن الغايات التى كانوا يسعون اليها من وراء ذلك : فان قائد جيش المصريين العرب الذى فتح بلاد الشام لانقاذها من حكم العثمانيين كان يصرح بأنه سيقف حيث ينتهى المتكلمون باللغة العربية . وهذا يدل على وجود هذا الشعور المعنوى فى مصر منذ أكثر من قرن ولكن الحكام بعد ذلك والمستعمرين لم يزكوا هذا الشعور بل طمسوه حرصا على مصالحهم ، وبقيت الفكرة القومية مضطربة غامضة حتى السنوات الاخيرة .

روابط وصلات

والواقع ما الذى يربط المصريين الحاليين بالمصريين القدماء الذين حكمهم الفراعنة ؟ أهو الدم والجنس ؟ ونحن نعلم أنه ما من شعب فى العالم حافظ على نقاء دمه وجنسه ، أهى اللغة ؟ وما من مصرى واحد يستطيع أن يتكلم اللغة الهيروغليفية . أهو الدين ؟ وما من مصرى واحد يعبد أيزيس وأوزوريس ، أهى العادات والتقاليد ؟ وما من مصرى واحد يتزوج بأخته أو يتصرف كما يتصرف القدماء، أهو اتصال التاريخ ؟ وما من أحد يملك فكرة واضحة المعالم عن تاريخ مصر القديم ، ولولا هذه الآثار الحجرية المنثورة بين الرمال لما علم أحد عن أخبار الفراعنة شيئا ، وهل اتصال شعب بأحجار مركومة ومميات لاحياة فيها بأقوى من اتصاله بمن هم موجودون معهم يتكلمون لغته ويؤمنون بمثله ويشاركونه ثقافته ويمارسون

نفس عاداته وتقاليده ويصارعون معه أخطار العـــدوان على بلادهم ويربطون مصيرهم بمصيره ويفتدونه بأرواحهم كمـــا يفتدى الاخ أخـــاه ؟

ان القومية العربية هي رباط قائم ومستمر ، وهذا الرباط القائم والمستمر هـــو الذى يربط مصر العربية بباقى أجزاء الامـــة العربية الكبيرة .

من أهداف العروبة

والامة العربية التى تقوم على رابطة اللغـــة وما ينجم عنهـــا من دعائم أخرى ذكرنها مرارا ليست أمة تدعى التفـــوق على غيرها من الامم ، ولا هى من طينة أخرى غير طينة البشر ، وانمـــا هى كائن اجتماعى حى كغيرها من الكائنات الاجتماعية تأخذ وتعطى ، وتتأثر بحضارات غيرها وتؤثر بهم ، وهى عضـــو فى المجموعة الانسانيـــة لاتخرج عنها . تتعاون مع الجميع بثقة وتواضع وتعمل على أنتكون المجموعة الانسانية أسرة واحدة يسودها السلام والعدالة الاجتماعية

وبعد فهذه مقومات الامة العربية : لغة واحدة نتجت عن تاريخ واحد ونجم عنهـــا ثقافة واحدة وتقاليـــد مشتركة ، وتتعـــاون فى الوقت الحاضر ضد أخطار مشتركة هى أخطار الاستعمار مما ينمى شعور أفرادها بوحدة المصير .

إيمـــاننا بعروبتنا

فاللغة العربية موجودة اذن ، والمشكلة القائمة هى مشكلة الايمان بالانتســـاب اليهـــا فى نفوس بعض الافراد ، وهـــذا الايمان موجـــود كأعنف مايكون الايمان فى القســم الاسيوى من الوطن العـــربى ، لان انتشار الوعى القومى هناسبق خضوع البلادللمستعمرين الاوربيين، وما نريده اليوم هو أن يعم هذا الايمان ليشمل كل المواطنين العرب فى وطنهم الكبير .

أن هذه المهمة ، هى مهمة مقدسة تقع مسئوليتها على أعناقنـــا فلنؤمن بانتسابنا الى أمتنا العربية ، ولنعلم أبناءها فى المدرسة وفى البيت ، انهم أبناء هذه الامة . وما لم نقم بذلك نكون قد سلمنـــا قيادتنا لسموم الدعاية الاجنبية واستسلمنا لتوجيهها . ولن تعيش أمة لاتقى ذاتها ولا يؤمن أفرادها بانتسابهم اليها .

● ان العالم كله فى شتى أقطاره ، تشخص أبصاره اليوم نحو الامة العربية ..

والصيحة التى انبعثت من وطننا فى سنة ١٩٥٢ فأيقظت الامة العربية من سباتها العميق الطويل المدى،فازدحمت كلها قادة وجنودا على طريق الكفاح للتحرر وللسيادة ، لم تزل أصداؤها تتردد فى آذان العالم .

الفجر الجديد الذى اشرق على الدنيا من هذا الافق بمبادىء جديدة ووعي جديد وانسانية جديدة لابد أن ينتشر ضـوءه حتى يعم كلّ الآفاق » .

كمال الدين حسين

***

● معنا اليوم كل أسبابنا لنعود كما كنا ، أو أعظم مما كنا ، فى قلوبنا الايمان بالله .. الايمان بأن الله أكبر ، وبأن الله أقوى وبأن كل تدبير يراد بنا فالله من فوقه . ولا يمكن أن يغلبنا غالب ومعنا قوة هذا الايمان

ومعنا الى هذا الايمان بالله ، ايمان بأنفسنا ، وادراك كامل لقوتنا ، ووعى مستنير لما يراد بنا . فلن يستطيع اليوم أحد أن يخدعنا عن حقيقة مكاننا وامكاننا ، أو يلفتنا عن بلوغ أهدافنا ..

ومعنا الى الايمان بالله والثقة بالنفس ايمان بالوحدة ، فلن يدخل بيننا منذ اليوم مشاء بنميم ، ليفرق هذه الوحدة ، ويردنا مزقا وفرقا واتباعا ..

ومعنا الى كل ذلك ايمان بالتعاون ، يفرض علينا أن نكون كتفا الى كتف فى كل معركة ، ويدا الى يد فى كلّ عمل ، ورأيا الى رأى فى كل اتجاه ، وقوة الى قوة لاتغلبهما قوة ..

ومعنا الى ذلك كله استعداد للبذل والتضحية ، وايمان بفضيلة العمل الايجابى المثمر ، لاستغلال كل مانملك من قوى بشرية ، وثروة فى الطبيعة لتبلغ الغنى والاستكفاء والرفاهية .

***

اسهم فى تصميم غلاف الكتاب ورسومه الداخلية طلعت رزق من أصدقاء حماية الشباب

فى هذا الكتاب

وزارة التربية والتعليم
ادارة الشئون العامة